أ. د/ أحمد عارف حجازى

الوقف والابتداء فى ضوء علم اللسانيات الحديث

دار غريب للنشر والتوزيع

الوقف والابتداء على
ضوء اللسانيات الحديثة

أ.د أحمد عارف حجازى

الوقف والابتداء على ضوء اللسانيات الحديثة

المؤلف

أ.د/ أحمد عارف حجازى عبد العليم

***

الناشر

دار فرحة للنشر والتوزيع

320 عمارات العرائس – ش السودان – المهندسين

28 ش عدنان المالكى – المنيا

فاكس :086/2336656

010/3182615 – 010/7000624

الاخراج الفنى

قسم التجهيزات : دار فرحة للنشر

رقم الإيداع : 2008/24881

الترقيم الدولى : 977-6063-76-4

طبعة / 2008 م

أ.د/ أحمد عارف حجازى عبد العليم

الوقف والابتداء
على ضوء
اللسانيات الحديثة

الناشر
دار فرحة للنشر والتوزيع

لسان العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

***

" رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى
والدي ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأصلح لي في ذريتي ،
إني تبت إليك وإني من المسلمين "

صدق الله العظيم

سورة الأحقاف ٤٦/١٥

إهداء

إلى من ابتدأت منهما خَلقاً وخُلقاً

ولم أفف

أمي ...أبي

مقدمة :

نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن رب العالمين ، على مدى ثلاث وعشرين سنة ، ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة ،وعشر سنين في المدينة النبوية المنورة .وقد قرأه جبريل عليه السلام على الرسول الكريم بلفظه ،فحفظه منه صلى الله عليه وسلم.

ولما كان الهدف من نزول القرآن الكريم هو إبلاغه للناس كافة،فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغه لهم:(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك).[1]

وهذا التبليغ هو قراءته صلى الله عليه وسلم القرآن لصحابته رضي الله عنهم ،مع بيان تفسيره ،وأحكامه ،وناسخه،ومنسوخه، ومحكمه،ومتشابهه،ومطلقه ،ومقيده،ومكيه ،ومدنيه.

وإذا كان القرآن الكريم كتابا باللغة العربية ،فهذه اللغة رموز صوتية مكتوبة أو منطوقة للتعبير عن معان معينة ،وهي مكونة من فونيمات محددة Phonemes وجمل متولدة من هذه الفونيمات. [2]

وعند نطق أية لغة ،أو – بتعبير أدق–عند نطق أي كلام مكتوب بأية لغة ،فلابد من قمم وأغوار في السلسلة الكلامية .وهو ما يسمى النبرStress[3]

---

(١) من سورة المائدة ٥/٦٧

(٢) **–N.Chomskyi, Sintactic Structure, .13**
R. Fowler , AnIntroductionta Transformational ; P . 3,4
–John Lions ,New Horizons,p.24

(٣) انظر :اللغة لفندريس ٨٧

كما أنه لابد من شهيق وزفير أثناء عملية الكلام ،إذ الصوت لا يحدث إلا من اندفاع هواءٍ من الرئتين خارج الفم عبر الحنجرة والأحبال الصوتية وتجويف الفم أو الأنف.

من هنا فإنه لا تتصل الكلمات كلها في النطق ،بل لابد من الوقف عند كل مجموعة كلمات تكون معنى ما.

نأخذ من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينطق كلمات القرآن الكريم كلها دفعة واحدة. بل كان يقف عند آخر بعض الكلمات ،وهو ما تلقفه الصحابة عنه،وقرأوا به.

انقضى عصر الصحابة ،وجاء التابعون من بعدهم ،فقرأوا القرآن الكريم ،ووضع بعضهم بعض الأسس أو استنبط بعضها ؛ كي يسير عليها من يريد قراءته.

ثم جاءت خطوة أخرى ،وهي التأليف في قراءة القرآن الكريم وكيفية نطق ألفاظه وقراءاته،سواء المتواترة الصحيحة منها أم الشاذة،وامتلأت كتب عُرفت باسم كتب إعراب القرآن ومعانيه بذلك ،كما جاء بعضها في كتب الحديث،وكتب التفسير.

واهتم بعض أصحاب كتب القراءات بموضوع الوصل والفصل ،ثم أفردت لهذا الموضوع كتب مستقلة. ومن ثم فقد قسموا الفصل إلى أقسام منها:

(حسن– تام-كاف –قبيح).

وقد عرفوا الفصل بالوقف أو القطع ،وعرفوا الوصل بالابتداء أو الائتناف.

ورأوا أن الوصل قد يغير المعنى المراد من الآية نفسها إذا نطقت بالفصل عند كلمة معينة.

مثال ذلك قوله عز وجل:

(فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض). [1]

فإذا وقفنا عند كلمة عليهم ،تصير الآية جملتين:

الأولى اسمية منسوخة بإن،وقد أبهم التحريم فيها وأطلق.

والثانية فعلية،حددت التيه بأربعين سنة.

وأما إذا وصلنا المركب العددي (أربعين سنة) بالجملة الأولى،ثم وقفنا بعده ،لنبدأ جملة جديدة ،فإن المعنى يتغير ،حيث يتحدد هنا زمن التحريم بأربعين سنة ،على حين يطلق زمن التيه دون تحديد.والجمل في الحالتين هي :-

أ- فإنها محرمة عليهم.

ب- أربعين سنة يتيهون في الأرض

جـ- فإنها محرمة عليهم أربعين سنة.

د- يتيهون في الأرض.

ذلك هو ما تناوله بحثي هذا ،ليرى كيف تعامل اللغويون العرب مع هذا النص الكريم،وأثر الفصل والوصل في استنباط بعض الأحكام الفقهية وتوجيه القراءات وفهم المعنى .وذلك في إطار النظرة النصانية الحديثة،التي تتعامل من منطلق فهم اللغة ودراستها لذاتها ومن أجل ذاتها[2] ،دون التدخل في تحسين الوصل على الفصل في موضع ما أو الفصل على الوصل في موضع آخر. إذ ليس من مهمة الباحث اللغوي تفضيل استعمال لغوي

---

(١) من سورة المائدة ٢٦/٥ .

(٢) وهي مقولة للعالم السويسري فرديناند دي سوسير

F.De Saunure

انظر :علم اللغة العام ٢٥٣

Performance علي استعمال آخر،بل تتجلى مهمته فـــي وصــف الواقـــع اللغوي وتحليله–حسب المنهج الذي ارتضاه لنفسه سبيلا.

وعلى الله قصد السبيل.

أ. د.أحمد عارف حجازي

١

الفصل الأول

تعريف المصطلحات

لا يعتمد الفهم على مجرد نطق المتكلم لكلمة ما بل لابد من معرفة سياق الكلمة في الجملة،ونفسية المتكلم والسامع،وظروف الحديث الاجتماعية. وهذا الفهم هو الدلالة المترسبة في الذهن عند سماع الكلمة أو نطقها أو كتابتها،وتتنوع هذه الدلالة(Semantics))إلى دلالة اجتماعية،وصرفية،ونحوية وسياسية ،ودينية ،و إيحائية .[1]

وهنا أيضا دلالة لغوية ودلالة اصطلاحية لكثير من ألفاظ اللغة،فالدلالة اللغوية هي أصل وضع الكلمة ،وتوجد في معاجم اللغة،والدلالة الاصطلاحية هي ما يتفق عليها مجموعة معينة داخل إطار معين،وذلك كأن يصطلح أهل الفقه مثلا على إطلاق كلمة(الجامع)على تلك المسجد الذي يجتمع الناس فيه للصلاة ،وبخاصة يوم الجمعة ،ويصطلح أهل المنطق على إطلاق الكلمة نفسها (الجامع) على الشئ الذي يجمع كل أفراد جنسه تحته، ويصطلح أهل الثقافة على إطلاق الكلمة ذاتها (الجامعة) على ذلك المكان العلمي الذي يجمع بعض المعاهد والكليات؛ بأساتذتها وطلابها وإدارييها ومبانيها.

أما المعنى اللغوي لتلك الكلمة (جمع)،فهو ضم وإحصاء أجزاء متفرقة في نطاق واحد.[2]

من هنا كان لزاما على الباحث أن يحدد مصطلحاته قبل البحث فيها،وهذه المصطلحات – كما يفهم من عناوين الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع – هي:

---

(1) انظر :دلالة الألفاظ45-49

(2) انظر:لسان العرب (جمع)678/1

أ-الوقف.

ب-الابتداء.

ج-القطع.

د-الاستئناف.

هـ-الموصول.

الدلالة اللغوية لهذه الكلمات

أ-الوقف:

الوقوف ضد الجلوس،الوقف مصدر وقفت الدابة ،كلمتهم ثم أوقفت أي سكت ،وكل شئ تمسك عنه تقول أوقفت. [1] وعلى ذلك فالوقف ضد الحركة ، وهو السكون .

ب-الابتداء:

البدء فعل الشئ أول ،بدأ به وبدأه يبدؤه بداء وابداه وابتداه.[2] وعلى ذلك فالابتداء هو الأولية وهو ضد النهاية .

ج-القطع:

القطع إبانة بعض أجزاء الجرم من بعض فصلا ،وكلام قاطع نافذ،ومقطع كل شئ ومنقطعه آخره. [3]- وعلى ذلك فالقطع هو الفصل .

د-الاستئناف:

الأنف المنخر- معروف،والأنف:التعب الذلول،والتأنيف تحديد طرف الشئ،وأنف كل شئ طرفه وأوله.واستأنف الشئ وأتنفه أخذ أوله وابتداه.[1] وعلى ذلك فالاستئناف هو إعادة البدء بعد انقطاع ما كان موصولاً .

---

(1) انظر :المرجع السابق (وقف)4898/6

(2) انظر :المرجع نفسه (بدأ)224-223/1

(3) انظر:المرجع نفسه (قطع)3677-3674/5

هـ- الموصول:

وصلت الشئ وصلا وصلة ،والوصل ضد الهجران ،الوصل خلاف الفصل واتصل الشئ بالشئ لم ينقطع.[٢] وعلى ذلك فالوصل ضد القطع ، وهو الاستمرار في الشيئ .

من هنا نرى أن الدلالة اللغوية لكلمات الوصل والائتناف والابتداء تكاد تقترب لتوحي بالبدء والاتصال والاستمرار.وكذلك دلالة كلمتي الوقف والقطع هي الفصل .

الدلالة الاصطلاحية لهذه الكلمات

يحدثنا عنها اللغويون القدماء الذين تعرضوا لهذا الموضوع سواء بالدرس أم التأريخ.

فالقسطلاني يقول:"أما الوقف فقال أبو حيان في شرح التسهيل:هو قطع النطق عن آخر الكلمة عما بعدها.وقال الجعبري :قطع صوت القارئ علي آخر الكلمة الوضعية زمانا".[٣]

وهو بذلك يتعرض للمعنى اللغوي موازنا بينه وبين المعنى الاصطلاحي،ويرجح بعض التعريفات على بعضها الآخر.وذلك هو ما فعله الأشموني حين قال إن الوقف "معناه الكف عن الفعل والقول،واصطلاحا:قطع الصوت آخر الكلمة زمنا ما ،أو هو قطع الكلمة عما بعدها،والوقف والقطع والسكت بمعنى ،وقيل القطع عبارة عن قطع القراءة

---

(١) انظر:المرجع نفسه (أنف)١/١٥١-١٥٢

(٢) انظر:المرجع نفسه (وصل)٦/٤٨٥٠-٤٨٥٣

(٣) لطائف الإشارات ١/٢٤٧

رأسا،والسكت عبارة عن قطع الصوت زمنا ما دون زمن الوقف عادة من غير تنفس".[1]

على حين يرى أبو يحيى الأنصاري أن "الوقف يطلق على معنيين، أحدهما القطع الذي يسكت القارئ عنده ،وثانيهما المواضع التي نص عليها القراء".[2]

ويقول السيوطي عنه:

"أفرده بالتصنيف خلائق منهم أبو جعفر النحاس ،وابن الأنباري،والزجاجي،والداني ،والعماني ،والسجاوندي ،وغيرهم .وهو فن جليل به يعرف كيف أداء القراءة".[3]

وهذا القول ليس تعريفاً للوقف أو وصفا،بل هو سرد لمن ألف فيه من القدماء.

والملاحظ هنا أنهم قد عرفوا الوقف والقطع ،دون أن يعرفوا الوصل والائتناف والابتداء . وكأني بهم رأوا أن تعريف أحد المتضادين يغني عن الآخر،أي إن تعريف الوصل والائتناف والابتداء تعريف سلبي ،تماما كما فعل النحاة العرب في تعريفهم الاسم والفعل والحرف ،حيث لم يأتوا بعلامات الحرف أو تعريف له سوي أنه لا يقبل علامات الاسم أو الفعل .[4] وهو ما يعرف في علم اللغة الحديث بـ أن ترك العلامة علامة في حد ذاته.

---

(١) منار الهدى ٨

(٢) المقصد ٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن١/٨٣

(٤) انظر :الكتاب١/١٢ وشرح المفصل٨/٢ وشرح السيوطي١/١٨ وقطر الندى ٣٧،٣٦ وتهذيب التوضيح١/١٧

وقد رأيت أن هؤلاء اللغويين قد ذكروا الوصل مقترنا بـ(القطع)،دون أن يذكروا (الفصل)،مع أن الوصل مضاد للفصل. [1]

رغم اقتراب دلالة (الفصل) اللغوية ،بدلالة(القطع) و(الوقف).فقد جاء في لسان العرب:

"الفصل بون ما بين الشيئين ،وبين كل فصلين وصل ،الفصل الحاجز بين الشيئين.وفصلت الشئ فانفصل أي قطعته فانقطع".[2]

من هنا يمكننا أن نقول إن الفصل هو الوقوف على جملة معينة أو تركيب معين ،ينتهي عند أحد منهما المعنى.

أما الوصل فهو قراءة الجمل أو التراكيب ووصلها معا،كي ينشأ معنى جديد مخالف للمعنى الذي وقفنا عنده ،أو مكمل له.

الوقف في غير القرآن الكريم

لا تتوقف دلالة الوقف على قطع القراءة فترة زمنية معينة ،أثناء قراءة القرآن الكريم ،بل تتعدي إلى غير ذلك ،حسب العلم الذي يستخدمها.

١-في الفقه:

الوقف هو منع التصرف في رقبة العين التي يمكن الانتفاع بها،مع بقاء عينها ،وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء.[3]

---

(١) يذكر للسيوطي أنه عقد بابا في كتابه الإتقان في علوم القرآن ،تحت عنوان (بيان الموصول لفظا المفصول معنى).

وجعله أصلا كبيرا في ... ،وتكلم فيه عن الوصل في بعض الآيات،مع وجوب الفصل مراعاة للمعنى.انظر:الإتقان ١/٩٠-٩١

(٢) لسان العرب(فصل)٥/٣٤٢٢-٣٤٢٤

(٣) محاضرات في الوقف ٧

٢ –في النحو:

هو السكون. [١]

وله معنى آخر يقترب من المعنـــى اللغـــوي ،فـــي كتـــب الوقـــف والابتداء،وهو وصل الكلام بعضه ببعض ،بأن يقـــف المـــتكلم علـــى آ. ـر الكلمة،وهناك طرق متعددة لذلك ، منها الروم والإشـم والإبدال والتضعيف ونقل الحركة وهاء السكت وزيادة ألف. [٢]

٣ –في العروض:

هو إسكان السابع المتحرك ،ويدخل بحر السريع والمنسرح فتصـــير (مفعولاتُ) إلي(مفعولاتْ)بسكون التاء ،وتنقل إلي(مفعولان)،وهو من علـــل النقص. [٣]

٤ –في التصوف:

الوقفة هي التوقف بين المقامين لقضاء ما بقي عليه مـــن حقـــوق الأول،والتهيؤ لما يرتقي إليه بآداب الثاني،والوقوف الصادق هو الوقـــوف مع مراد الحق. [٤]

وهناك كلمتان تؤديان معنى الوقف ،مع اختلاف يســـيرفي الدلالـــة وهما:

أ –القطع.

ب –السكت.

---

(١) معجم مصطلحات النحو والصرف ٣٠٩ والإيضاح في علل النحو ٦٧ والكتاب ١٣،١٧/١

(٢) معجم مصطلحات النحو والصرف.٣١

(٣) المرجع نفسه.٣١

(٤) اصطلاحات الصوفية٧٥

فالقطع هو التوقف عن القراءة ،وعدم الرجوع إليها مباشرة في حينها ،بل بعد فترة زمنية معينة قد تطول ؛ ليبدأ قراءة جديدة ببسملة جديدة،ولا يكون القطع إلا على رؤس الآيات.

والسكت هو التوقف عن القراءة فترة بسيطة جدا ؛ مع عدم التنفس في تلك الفترة ،والعودة بعد ذلك مباشرة للقراءة .وهذه الفترة لا تطول إلا بمقدار ثوان معدودة.[١]

وكثيرا ما يكون هذا السكت قبل الهمزة الساكن ما قبلها ،أو الممدود ما قبلها،مثل قوله تعالى:

"إنما..أمره..إذا..أراد شي..نا..أن يقول له كن فيكون".[٢]

فالقارئ هنا يمكنه السكت دون تنفس قبل هذه الهمزات الساكن أو الممدود ما قبلها ،كما هو موضح بتلك النقط السابقة.

وسبب هذا السكت هو صعوبة نطق الهمزة،إذ إنها فونيم حنجري يتطلب جهدا في النطق. [٣] فيستريح القارئ قبل نطقه ،ليأتي به من مخرجه بدقة.

---

(١) في تعريف القطع والسكت انظر:النشر في القراءات العشر ١/٢٣٨-٢٤٣

(٢) سورة يس٣٦/٨٢

(٣) انظر:الأصوات اللغوية٨٩-٩١

٢

الفصل الثاني

تاريخ الوقف والابتداء

في عهد رسول الله

نزل القرآن الكريم من الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ،على مدى ثلاث وعشرين سنة،متفرقا حسب الأحداث والمواقف والظروف التي تعرض لها المسلمون الأولون،سواء مع أنفسهم ،أم مع من عايشهم من أهل الكتاب والكفار والمشركين والمنافقين.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئ صحابته الكرام القرآن الكريم،ويعلمهم إياه مفسرا لهم ما يحتاجون إليه من الفاظ ومعان.

وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

"لقد عشنا برهة من دهرنا،وإن أحدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن،وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم ،فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن،ولقد رأيت اليوم رجالا يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان ،فيقرأ ما بين فاتحته إلي خاتمته ما يدري ما آمره ولازاجره ،ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه". (١)

وهذا التعلم جاء من الرسول الكريم ،حيث ورد:"عن أم سلمة رضي الله عنها :أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية،يقول:

---

(١) القطع والائتناف ١/١٥ والنشر في القراءات العشر ١/٢٢٥ والإتقان ١/٨٣ والبرهان في علوم القرآن ١/٣٤٢

(بسم الله الرحمن الرحيم) ثم يقف،ثم يقول:(الحمد لله رب العالمين) ثم يقف ،ثم يقول: (الرحمن الرحيم)". [1]

أي إنه صلى الله عليه وسلم كان يقف بعد كل آية .وقد علمهم ذلك لأنه " لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد،ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل،بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة،وجب حينئذ اختيار وقف [2] للتنفس والاستراحة ،وتعين ارتضاء ابتداء بعده.ويتحتم أن لا يكون ذلك مما يحيل المعنى ،ولا يُخل بالفهم.إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد". [3]

وليس من اللازم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم صحابته رضي الله عنهم مواضع الفصل والوصل في القرآن الكريم كله،بل إنه أعطاهم إطارا نظريا،هو عدم ختم آية عذاب برحمة،أو آية رحمة بعذاب.يدلنا على ذلك الحديث التالي:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ،فاقرأوا ولا حرج ،ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ولا ذكر عذاب برحمة". [4]

---

(١) صحيح الترمذي (باب فضائل القرآن)عارضة الأحوزي بشرح صحيح مسلم١١/٤٩،٤٨،٣،والنشر١١/٢٢٦ والتسهيل١/١٢ والإتقان ١/٨٧ والمصاحف ٩٤ وجمال القراء وكمال الإقراء٢/٥٤٩ والبرهان في علوم القرآن ١/٤٦٨،٩٨

(٢) هذه الكلمة في النشر في القراءات(وقف)،ونقلها عنه السيوطي في الإتقان (وقفة).

(٣) النشر في التفسير ١/٢٢٥،٢٢٤والإتقان١/٨٣

(٤) تفسير الطبري١/١٩والقطع والائتناف١/١٧وسنن أبي داود٢/١٦٠

كما وردت بعض الآثار التي تدل على اعتناء الرسول صل الله عليه وسلم بالوقف في الكلام العادي ،وذلك مراعاة للمعنى.

فعن عدي بن حاتم الطائي قال:

جاء رجلان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فتشهد أحدهما فقال: من يطع الله (جل وعز) ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد رشد ومن يعصهما .فقال رسول الله صلى الله علي وسلم : الخطيب أنت فقم،كان ينبغي أن تصل كلامك : ومن يعصهما فقد غوي. أو تقف على (رسوله فقد رشد).(١)

من هنا نجد أن موضوع الفصل والوصل قد أثير في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،وقد صحح للصحابة ما كانوا يخطئون فيه.ثم أرسى لهم قاعدة هي عدم ختم آية رحمة بآية عذاب أو العكس ، والوقف على رؤوس الآيات مطلقاً. [1] وظل الصحابة على ذلك حينا.

في عهد الصحابة والتابعين

بعد تلقي الصحابة- رضي الله عنهم- القرآن الكريم،مشافهة من رسول الله عليه وسلم،استطاعوا أن يعرفوا بعض المواضع التي يوقف عندها لينفصل المعنى ويؤدي في صورة معينة. كما عرفوا بعض المواضع الأخرى التي لا يمكن الفصل عندها،بل لابد من وصل الجملة بما بعدها ،ليتم أداء معنى معين حسب السياق.

ومن ذلك ما رواه ابن عمر ،في حديثه السابق،من أنهم كانوا يؤتون الإيمان قبل القرآن .

---

(١) انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٧/١وجمال القراء وكمال الإقراء٥٤٩/٢

كما وردت بعض الآثار التي تدل علي اشتغالهم بالفصل في مواضع معينة،حتى يتسنى أداء معنى محدد مفهوم .فقد روي عن ميمون بن مهران[1]وعمر بن عبد العزيز أنهما أنكرا الوقف على قوله تعالى:(إنما نحن مصلحون)علي أن يبتدئ:(ألا إنهم هم المفسدون). [2]

حتى لا تكون جملة (إنما نحن مصلحون) في حق الكافرين دون الاستدراك عليهم ونقض كلامهم (ألا إنهم هم المفسدون). ولذلك لم يفصلا عند الجملة في سياقها الكلي،حتى لا تكون بمعزل عنه.

وروي "عن ابن عباس- رضي الله عنهما-أنه في قوله تعالى(ولولا فضل عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان). [3]

قال: فانقطع الكلام". [4]

أي إنه لم يعتد بالاستثناء ،وهو قوله تعالى (إلا قليلا).مع أن أداة الاستثناء (إلا) تربط أسلوب الاستثناء فتخرج ما بعدها مما دخل فيه ما قبلها.

وإذا جئنا إلى أبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ) لوجدناه يعرض ثلاثة آراء في هذا الاستثناء:

أ- الاستثناء من فاعل (اتبعتم)،أي (لاتبعتم الشيطان إلا قليلا).

---

(١) هو أبو أيوب الرقي ميمون بن مهران الجزري (ت١١٧هـ)

انظر :طبقات الحفاظ٣٩/٤٠ وشذرات الذهب١/١٥٤ وطبقات ابن سعد٧/٢/١٧٧

(٢) انظر :القطع والإئتناف١/١٩

والجملتان جزء من آيتين في سورة البقرة ،هما:

(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون.ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون).آيتي ١١، ١٢

(٣) بقية الجملة هو قوله تعالى(لاتبعتم الشيطان إلا قليلا).من سورةالنساء٣/٨٣

(٤) القطع والائتناف١/١٨والبرهان في علوم القرآن١/٣٤٢

ب- الاستثناء من فاعل (أذاعوا)،أي(أظهروا ذلك الأمر أو الخوف إلا القليل منهم).

جـ- الاستثناء من فاعلا(لوجدوا)،أي(لوجدوا فيه اختلافا كثيرا إلا القليل منهم). (١)

وعلى ذلك يكون تخريج ابن عباس مقتربا من الرأيين الأخيرين،مبتعدا عن الرأي الأول،ويصير أسلوب الشرط تاما دون استثناء منه.

وعن قتادة (٢) أنه في قوله تعالى (الحمد لله الذي أنزل علي عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا.قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه). (٣)

قال :أنزل الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا.ويستدل النحاس من ذلك على أنه لا يجب أن يقطع القارئ عند(عوجا)،لأن(قيما)راجع إلى ما قبله. (٤)

وهذا يدل على إعمال الفكر في التركيب اللغوي للآية الكريمة ؛إذ إن الناصب في (قيما)هو الحالية،وصاحب هذه الحال هو(الكتاب).ولذا لم يفرق بين الحال وصاحبها(أنزل الكتاب قيما).

وقد سئل علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- عن قول الله تعالي (ولن يجعل الله للكافرين علي المؤمنين سبيلا). (٥)

---

(١) انظر:إملاء ما من به الرحمن ١/١٨٨

(٢) هو قتادة بن دعامة السدوسي،ومن التابعين،وكان ذا علم في القرآن والحديث والفقه،وكان أكمه ومات بالبصرة(١١٧هـ).انظر:إملاء ما من به الرحمن ٢/٩٨،وطبقات ابن سعد ٧/١-٣،ومعجم الأدباء ١٧/٩-١٠،وطبقات المفسرين ٢/٤٤،٤٣

(٣) من سورة الكهف ١٨/١،٢.

(٤) انظر:القطع والائتناف ١/٨!

(٥) من سورة النساء ٤/١٤١،وقبلها جملة(فالله يحكم بينكم يوم القيامة).

وقد رأينا الكافر يقتل المؤمن،فقال رضي الله عنه:اقرأ ما قبلها:(فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا). [1]

وهنا نجد مراعاة تامة للسياق ،حيث تقدم المركب الظرفي (يوم القيامة) فعمل الظرفية في الجملة الأولي الاسمية(فالله يحكم بينكم يوم القيامة). ثم عطفت الجملة الثانية الفعلية عليها،فاشتركت في الظرفية معها.(لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يوم القيامة).

أما فهم السائل فهو قصر الظرفية على الجملة الأولى الاسمية ،مع بقاء الفعل المضارع في الجملة الثانية الفعلية دون تحديد زمنه.

هذا الربط بين الجملة وسياقها ليس ببعيد على رجل رأي أن قوله تعالي(ورتل القرآن ترتيلا). [2] يراد به تجويف الحروف ومعرفة الوقف. [3]

وروي أيضا عن عمرو بن ميمون [4]ومجاهد [5]- رضي الله عنهما أنهما قالا:كل مؤمن صديق شهيد ،ثم قرأ قوله تعالى:(أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم).[6]فقد اعتبرا أن مورفيم الواو في

---

(١) انظر:القطع والإئتناف١/١٩

(٢) من سورةالمزمل٣٧/٤

(٣) انظر:الإتقان في ... القرآن١/٨٣

(٤) هو أبو عبد الله عمرو بن ميمون الأودي الكوفي(ت٧٤هـ).

انظر:طبقات الحفاظ٢٤وشذرات الذهب١/٢١٦

(٥) هو مجاهد بن جبر القارئ،من كبار التابعين، أخذ القرآن عن عبد الله بن عباس،وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب رضي الله عنهم، وتوفي سنة١٠٣هـ انظر:

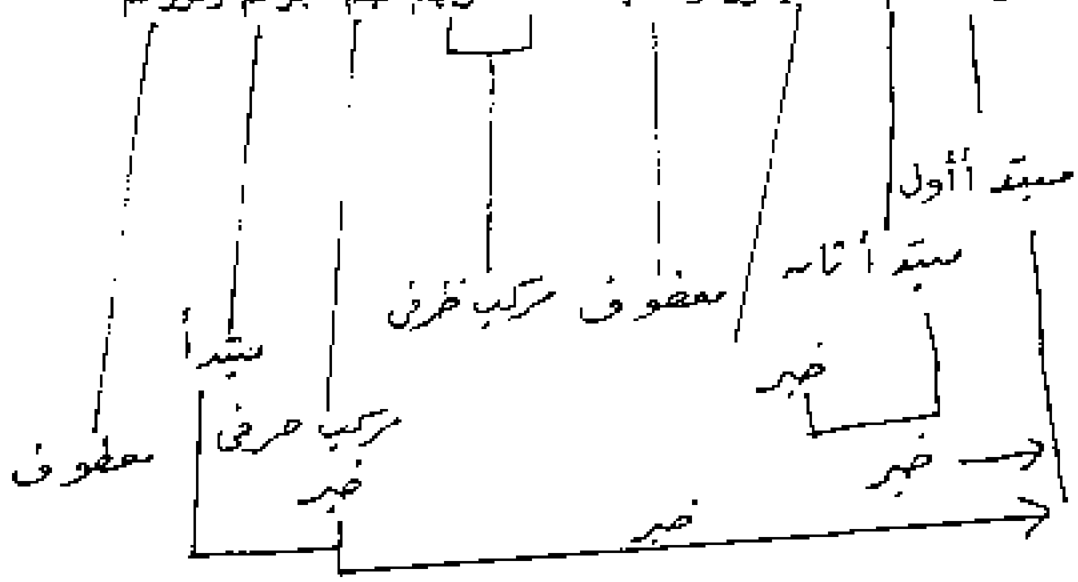
شذرات الذهب١/١٢٥،ومعجم الأدباء١٧/٧٧/٧٨

(٦)من سورة الحديد ١٩/٥٧ وقبل هذه الجملة بدايتها وهي:(والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم..). القطع والائتناف١/٨١

المركب العطفي (والشهداء)عاطف صفة (الصديقون)على صفة (الشهداء)،وليس عاطفا جملة (أولئك)على جملة (الشهداء).

وبذلك يكون المبتدأ الأول(أولئك) ذا خبرين كلاهما جملة اسمية ،كما يبدو من التحليل التالي:

أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم



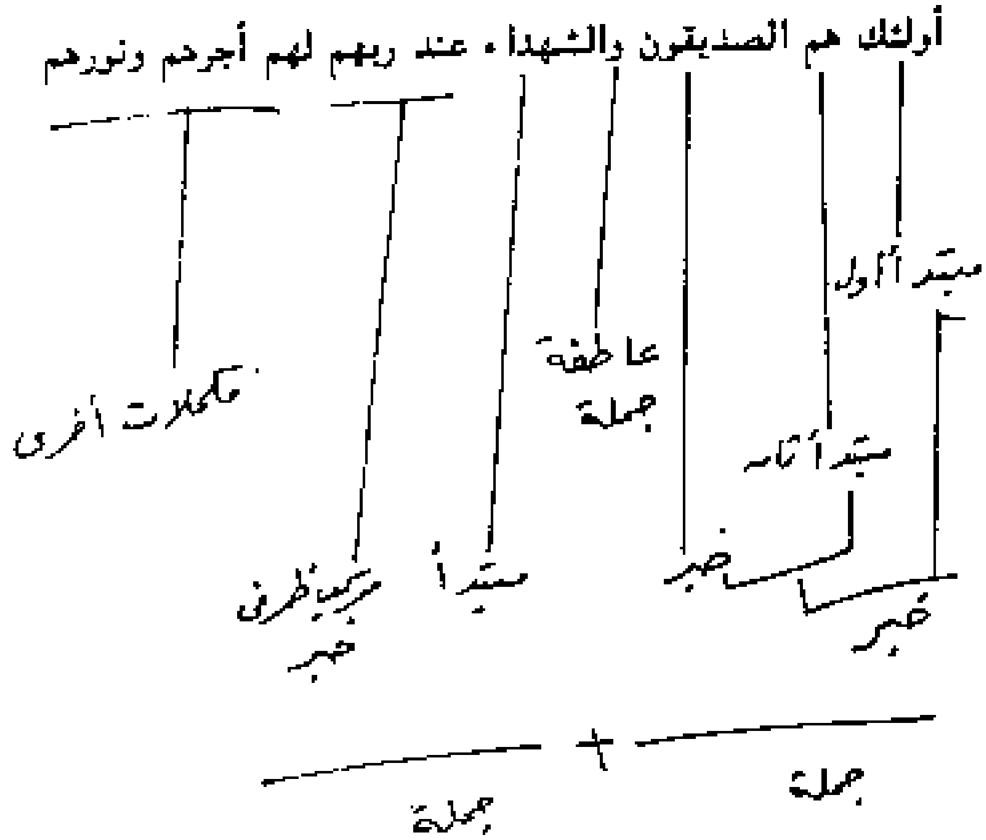
يظهر لنا التحليل الجملة بخبريها كما يلي:

أولئك هم الصديقون والشهداء.

أولئك لهم أجرهم ونورهم.

فقد فطن الرجلان إلي سياق الآية الكريمة،وعرفا أن هناك من يفصل الجملة عند كلمة(الصديقون)،ثم يبتدئ جملة اسمية جديدة مرتبطة بما قبلها بالعطف ،هي:

ربهم ونورهم). والتحليل التالي يوضح ذلك .



وبذا تتحول الجملة الواحدة إلي جملتين هما:

أ- أولئك هم الصديقون.

ب-الشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.(١)

---

(١) هناك رأي ثالث قال به العكبري وهو أن الوقف على الشهداء ثم يبتدئ (عند ربهم). انظر: إملاء ما من به الرحمن ٢/٦/١١٩-١٢١

- كما روي أيضا عن أبي عبد الرحمن السلمي(١) أنه كان يستحب أن يقف عند قوله تعالى (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا)،ثم يبتدئ فيقول (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون). (٢)

وذلك لأن الجملة الأولى سؤال من الكافرين ،والثانية جواب من الملائكة على هذا السؤال ،كما علق النحاس عند إيراده هذا الخبر.

وقد جاء هذا الفصل على كلمة(مرقدنا)،لأنها انتهاء جملة مقول القول،ثم الابتداء بالمبتدأ(هذا) الذي هو أول جملة قالتها الملائكة.

ولما كان الصحابة والتابعون- رضي الله عنهم- يراعون المعنى،فقد روي عنهم أنهم كانوا يكرهون أن يقرأوا بعض الآيات ويدعوا بعضها ،وذلك لعدم تجزئة السياق، وفصله إلى جزئيات صغيرة قد تغير المعنى أو تحدث لبسا في فهمه.

من هنا لم يترددوا في تطبيق هذا المبدأ على كلامهم اليومي- بعيدا عن القرآن الكريم- كما في حديث"أبي بكر-رضي الله عنه-أنه قال لرجل معه ناقة:أتبيعها بكذا.فقال:لا عافاك الله. فقال:لا تقل هكذا، ولكن قل لا وعافاك الله". (٣)

---

(١) هو عبد الله بن حبيب ...ـي الكوفي القارئ، (ت٩٢هـ).
انظر:طبقات الحفاظ١٩، ٢٠ وطبقات ابن سعد٦/١١٩، ١٢١
(٢) انظر :القطع والائتناف١/١٩ والآية من سورة يس٣٦/٥٢
(٣) القطع والائتناف١/٢٠

أي إنه خاف اللبس لوقوع النفي في كلمة(لا) على جملة الدعاء الخبرية (عافاك الله)، فتتحول من الدعاء إلي المقت والبغض،لذلك اقترح عليه الفصل بين النفي والدعاء بمورفيم الاستئناف (و).

وشبيه بذلك أيضا ما أورده النحاس؛ من أن ابراهيم النخعي.[1] كره أن يقال:(لا والحمد لله)، ولم يكره (نعم والحمد لله).[2]وذلك لعدم اشتراك النفي مع الحمد بمورفيم العطف(و) ،وهو ما تخالفه أداة الجواب (نعم) مع وجود العطف نفسه.

من كل ما سبق نجد بعض العلماء القدامي قد استدلوا علي أن الوقف كان إجماعا من الصحابة،[3]وهذا الإجماع كان نتيجة لإعمال عقولهم في سياق الآيات وفهم معانيها،واعتمادهم علي ذلك أكثر من النقل عن رسول الله صلي الله عليه وسلم.

---

(١) هو إبراهيم النخعي بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران فقيه أهل الكوفة ومفتيها،(ت٩٦هـ).انظر :طبقات الحفاظ٢٩وشذرات الذهب١/١١١

(٢) انظر :القطع والائتناف١/٢٠

(٣) انظر :القطع والائتناف١/١٥،١٨ والنشر في القراءات١/٢٢٥ والإتقان في علوم القرآن١/٨٣

٣

الفصل الثالث

كتب الوقف والابتداء

تختلف الكتب التي عالجت هذا الموضوع عن غيرها من الكتب التي تعرضت للتفسير أو القراءات ،حيث نجد أن السياق situation هو الـــذي يوجه المعنى،ومن ثم يلزم الفصل أو يجب أو يحسن أو يقبح .وكما ذكرنـــا في المقدمة ،فإن أصحاب هذه الكتب لم يذكروا كلمتي (الفصـــل والوصـــل) مجتمعتين هكذا في مركب عطفي،عنوانا لأي كتاب من كتبهم،بـــل ذكـــروا كلمات:

(الوقف– الابتداء – القطع – الائتناف – المقطوع – الموصول – المقاطع– المبادئ– الوقوف– الابتداء).

ونورد هنا تلك الكتب مصحوبة بأسماء مؤلفيهـــا ،مـــرتبين إيـــاهم حسب سني وفياتهم،بقدر ما تسعفنا المراجع.

١– الوقف والابتداء،لهشام بن عبد الله. (١)

٢– الوقف والابتداء،للجعدي. (٢)

٣– وقف التمام ،لأحمد بن عيسى اللؤلؤي. (٣)

٤– مقطـــوع القـــرآن وموصـــوله،لعبد الله بـــن عـــامر اليحصبي،(ت١١٨هـــ). (٤)

٥– الوقف والابتداء،لضرار بن الصرد(ت١٢٩هـــ). (٥)

٦– الوقوف ،لشيبة بن نصاح(ت١٣٠هـــ). (٦)

---

(١) انظر :الفهرست٥٤

(٢) انظر :المرجع نفسه٥٤

(٣) انظر :المرجع نفسه٤

(٤) انظر:تاريخ التراث العربي١٤٨/١ والفهرست ٥٥

(٥) انظر :الفهرست٥٤

(٦) انظر:تاريخ التراث العربي١٤٨/١

٧- الوقف والابتداء،لأبي عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ). (١)

٨- الوقف والابتداء،لحمزة بن حبيب الزيات(ت١٥٦هـ). (٢)

٩- مقطوع القرآن وموصوله،للزيات أيضا. (٣)

١٠- الوقف والابتداء الكبير ،لأبي جعفر الر سي(ت١٩٧هـ). (٤)

١١- الوقف والابتداء الصغير،للرؤاسي أيضا. (٥)

١٢- مقطوع القرآن وموصوله،لعلي بن حمزة الكسائي(ت١٩٧هـ). (٦)

١٣- وقف التمام،لنافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم(ت١٩٩هـ). (٧)

١٤- الوقف والابتداء ،ليحيى بن المبارك اليزيدي(ت٢٠٢هـ). (٨)

١٥- وقف التمام ،ليعقوب بن إسحاق الحضرمي(ت٢٠٥هـ). (٩)

١٦- الوقف والابتداء ،ليحيى بن زياد الفراء(ت٢٠٧هـ). (١٠)

١٧- حد الابتداء والقطع ،وهو فصل من كتاب أسماء الحدود للفراء أيضا. (١)

---

(١) انظر :المرجع السابق ١٤٨/١

(٢) انظر :الفهرست ٥٤

(٣) انظر :المرجع نفسه ٦٥

(٤) انظر :المرجع نفسه ٦٩ ومعجم الأدباء ١٢٥/١٨ وطبقات المفسرين ١٣١/٢

(٥) انظر : انظر :الفهرست ٩٦ ومعجم الادباء ١٢٥/١٨ طبقات المفسرين ١٣١/٢

(٦) انظر :الفهرست ٩٨،٩٧ ومعجم الأدباء ٢٠٣/١٣ وطبقات المفسرين ٤٠٢/١

(٧) انظر :الفهرست ٥٤

(٨) انظر :معجم الادباء ٣١/٢٠ ، ٣١/٢٠

(٩) انظر :المرجع نفسه ٥٣/٢٠ والفهرست ٥٤/ ٥٣/٢٠

(١٠) انظر :الفهرست ٥٤ و معجم الأدباء ١٤/٢٠

١٨- وقف التمام للأخفش الأوسط أبو الحسن بن مسعدة(ت ٢١٥هـ).[٢]

١٩- الأوقاف ، للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٥هـ). [٣]

٢٠- الوقف والابتداء ،لخلف بن هشام(ت ٢٢٩هـ). [٤]

٢١- الوقف والابتداء ،لمحمد بن سعدان(ت ٢٣١هـ).[٥]

٢٢- وقف التمام ،لأبي الحسن روح بن عبد المؤمن الهزلي(ت ٢٣٥هـ). [٦]

٢٣- الوقف والابتداء ،لأبي عبد الرحمن اليزيدي(ت ٢٣٧هـ). [٧]

٢٤- الوقف والابتداء،لحفص بن عمر الدوري(ت ٢٤٦هـ). [٨]

٢٥- وقف التمام ،لنصر بن علي(ت ٢٥٥هـ). [٩]

٢٦- المقاطع والمبادئ ،لأبي حاتم السجستاني(ت ٢٥٥هـ). [١٠]

٢٧- الوقف والابتداء ،لأحمد بن يحيي ثعلب(ت ٢٩١هـ). [١١]

---

(١) انظر :الفهرست ١٠٠

(٢) انظر :المرجع نفسه ١٠٠

(٣) انظر:المرجع نفسه ١٠٠ ولاحظ أن الباحثين قد أرخ للأصمعي ولكنه لم يذكر له هذا الكتاب انظر:الأصمعي اللغوي١٠٩،١٠٨

(٤) انظر :الفهرست٨٢

(٥) انظر :المرجع نفسه ٥٤

(٦) انظر :المرجع نفسه ٥٤

(٧) انظر :إنباه الرواة٢/ ١٥١ والفهرست٥٤

(٨) انظر :الفهرست ٥٤

(٩) انظر :المرجع نفسه٥٤

(١٠) انظر:إنباه الرواة٢/٦٢والفهرست٨٦،٨٧

(١١) انظر:الفهرست١١٠/١١١وطبقات المفسرين١/٩٧ومعجم الأدباء٥/١٤٣

٢٨ - الوقف والابتداء لسليمان بن يحيى الضبي(ت ٢٩١هـ). [١]

٢٩ - الوقف والابتداء لمحمد بن أحمد بن كيسان(ت ٢٩٩هـ). [٢]

٣٠ - الوقف والابتداء ،لأبي إسحاق الزجاج(ت ٣١١هـ). [٣]

٣١ - إيضاح الوقف والابتداء ،لأبي بكر بن الأنباري (ت ٣٢٤هـ). [٤]

٣٢ - الوقف والابتداء لمحمد بن محمد بن عباد المالكي(ت ٣٣٤هـ). [٥]

٣٣ - القطع والائتناف،لأبي جعفر النحاس(ت ٣٣٨هـ). [٦]

٣٤ - الوقوف ،لأحمد بن كامل البغدادي(ت ٣٥٠هـ). [٧]

٣٥ - الوقف والابتداء ،لمحمد بن الحسن العطار(ت ٣٥٤هـ). [٨]

٣٦ - الوقف والابتداء ،لأبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم(ت ٣٦٢هـ). [٩]

٣٧ - الوقف والابتداء ،لأبي سعيد السيرافي(ت ٣٦٨هـ). [١٠]

٣٨ - الوقف والابتداء،لأبي الفتح عثمان بن جني(ت ٣٩٢هـ). [١]

---

(١) انظر :الفهرست ٥٤

(٢) انظر :معجم الأدباء ١٧/ ١٣٩،١٧/ ١٣٩ والفهرست ٥٤ ١٧/ ١٢

(٣) انظر :معجم الأدباء ١٩/ ٢٨ والبرهان في علوم القرآن ١/ ٣٤٢

(٤) وهو رسالة دكتوراة مخطوطة بآداب القاهرة ١٩٧٦م

(٥) انظر :معجم الأدباء ١٩/ ٢٨ والبرهان في علوم القرآن ١/ ٣٤٢

(٦) وهو رسالة دكتوراة مخطوطة بآداب القاهرة ١٩٧٦م

(٧) انظر :الفهرست ٤٨ وطبقات المفسرين ١/ ٦٥ ومعجم الأدباء ٤/ ١٠٥

(٨) انظر :معجم الأدباء ١٨/ ١٥٣

(٩) انظر :الفهرست ٥٠ وطبقات المفسرين ٢/ ١٢٨

(١٠) انظر :الفهرست ٩٣

٣٩- الوقف والابتداء لمكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ). (٢)

٤٠- المكتفي في معرفة الوقف التام والوقف الكافي والحسن،لأبي عمرو الداني(ت٤٤٤هـ). (٣)

٤١- الوقف والابتداء ،لأبي عمرو الداني أيضا(٤)

٤٢- الوقف والابتداء لمحمد بن طيفور السجاوندي ممن علماء القرن السادس الهجري. (٥)

٤٣- الوقف والابتداء لمحمد بن يزيد بن طيفور السجاوندي. (٦)

٤٤- المرشد ،لأبي محمد الحسن العماني ممن علماء القرن السادس الهجري. (٧)

---

(١) انظر:المرجع نفسه١٢٨

(٢) انظر:طبقات المفسرين٢/٣٣٨

(٣) وهو مخطوط في مكتبته بلدية الاسكندرية برقم(١٢١١ب)والمكتبة الأحمدية بحلب،برقم(١٣٩)،ودار الكتب برقم(٨٣،٢٢)تيمور،وانظر: الإتقاق في علوم القرآن١/٧

(٤)انظر:طبقات المفسرين١/٣٥٧،والإتقاق في علوم القرآن١/٧

(٥) وهو مخطوط عام٨٨٣هـ،في مكتبة بلدية الاسكندرية،برقم(٣٠٠٣د)،ومكتبة الأزهر،برقم(١٦٤).

(٦) انظر:طبقات المفسرين٢/٢٧١

ولم يعرف له تاريخ ميلاد أو وفاة–شأنه شأن شبيهه محمد بن طيفور،وكلام شمس الدين الداودي صاحب طبقات المفسرين في آخر ترجمته مات (تخمينا) سنة٤٦ ست وأربعين" يوحي بأنه هو ابن طيفور السابق ذكره. ورغم ذلك، فقد أرخ الداودي لهما، و نرجح أن يكون كلاهما عالماً واحداً ؛ ذكر في المرة الأولى باسم جده ، وفي الثانية باسم أبيه بينهما ولم يفطن إلى ذلك المحقق – حينما خمّن أنه توفي سنة ست وأربعين، و أورد عن شبيهه ابن طيفور:. وقال:كان في وسط المائة السادسة".

انظر: طبقات المفسرين٢/٢٧١،١٥٥،والإتقان في علوم القرآن١/٧.

(٧)انظر:البرهان في علوم القرآن١/٣٤٢ ،وقد ذكره صاحب المقصد ،عند ما لخصه ،انظر رقم(٥٨)،في تلك القائمة.

٤٥- الاقتداء في معرفة الوقف والابتداء لمحمد بن عبد الله النكزواني. [١]

٤٦- الوقف والابتداء ، وهو فصل من فصول كتاب جمال القراء وكمال الإقراء لأبي الحسن علم الدين السخاوي(ت٦٤٣هـ). [٢]

٤٧- الوقف والابتداء ،وهو جزء من إحدي مقدمتين في كتاب (التسهيل لعلوم التنزيل)، لأبي القاسم بن جزي الكلبي الغرناطي (ت٧٤١هـ). [٣]

٤٨- معرفة الوقف والابتداء ،وهو فصل من كتاب (البرهان في علوم القرآن)، لبدر الدين الزركشي(ت٧٩٤هـ). [٤]

٤٩- الوقف والابتداء ،وهو فصل من كتاب مواقع العلوم من مواقع النجوم،لجلال الدين البلقيني(ت٨٢٤هـ) . [٥]

٥٠- الاهتداء إلي معرفة الوقف والابتداء ،لأبي الخير بن الجزري (ت٨٣٣هـ). [٦]

٥١- الوقوف والابتداء ،وهو فصل من فصول كتاب(النشر في القراءات العشر) لأبي الخير بن الجزري. [٧]

---

(١) مخطوط في مكتبة الازهرية رقم ١٢١

(٢) نظر:البرهان في علوم القرآن١/١٣١،١٣

(٣) انظر:المرجع نفسه١/

(٤) انظر:التسهيل لعلوم التنزيل١/١٣،١٢

(٥) انظر:البرهان في علوم القرآن١/٣٣٩-٣٧٥

(٦) انظر:الإتقان في علوم القرآن١/٣

(٧) انظر: النشر في القراءات العشر١/٢٢٤

٥٢ – الإسعاف في معرفة في معرفة القطـع والإسـتئناف،لبرهان الدين الكركي الشافعي(ت٨٣٥هـ). (١)

٥٣ – لـطلة الطرف في معرفة الوقـف ،لبرهـان الـدين الكركـي الشافعي. (٢)

٥٤ – الوقف والابتداء ،لأبي حسن علي بن أحمد الغزال ،من علماء القرن التاسع الهجري. (٣)

٥٥ – معرفة الوقف والابتداء ،وهو فصل من فصول كتاب (الإتقان في علوم القرآن)،لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) . (٤)

٥٦ – الوقف والابتداء ،وهو فصل من فصول كتاب (التحبيـر فـي علوم التفسير). لجلال الدين السيوطي. (٥)

٥٧ – المقصد لتخليص ما في المرشد ،لأبي يحيي زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ). (٦)

٥٨ – منار الهدي في بيان الوقف والابتدا، لأحمد بن عبـد الكـريم الأشموني ،من علماء القرن الحادي عشر الهجري. (٧)

٥٩ – منازل القرآن في الوقوف ،مجهول المؤلف. (٨)

٦٠ – مقدمة في وقوف القرآن ،مجهول المؤلف. (١)

---

(١) انظر :المرجع نفسه ١/٢٢٤-٣٤٣

(٢) انظر :طبقات المفسرين ١/٢٣

(٣) انظر :طبقات المفسرين ١/٢٣

(٤) انظر :وهو مخطوط كتب عام٨٥٢هـ،في المكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم١٤٧

(٥) انظر :المرجع نفسه ١/٤

(٦) وهو مطبوع في بولاق سنة ١٢٨١هـ،انظر كتاب رقم(٤٤) في هذه القائمة.

(٧) وهو مطبوع في بولاق سنة١٢٨٦هـ.

(٨) وهو مخطوط في مكتبة بلدية الإسكندرية،برقم١٠١٢د،وهو منسوخ عام١١٨٥هـ.

هذه هي الكتب والمؤلفات التي تناولت هذا الموضوع ،منذ القرن الثاني الهجري ،حيث ألف عبد الله بن عامر(ت١١٨هـ) كتابه، وانتهاء بالقرن الثالث عشر الهجري ،حيث وردت تلك المخطوطة التي لم يُعرف مؤلفها في عام١٢٨٥هـ.

ومن خلال العرض السابق لهذه المؤلفات نجد أنها تنقسم إلى قسمين هما:

١- كتب مستقلة.

٢- فصول أو أجزاء داخل كتب علوم قرآن .

فأما الفصول أو الأجزاء التي احتوتها كتب أخرى فهي:

أ- ما ورد في كتب التفسير:

الوقف والابتداء ،في كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي.

ب-ما ورد في كتب علوم القرآن:

معرفة الوقف والابتداء ،في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي

جـ-ما ورد في كتب القراءات:

الوقوف والابتداء ،في كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

ويغلب على ظني أن ما ورد اسمه عن القراء في كتاب أو الفصل الذي كتب فيه لم يصل إلينا.

وأما الكتب المستقلة فهي بقية ما ورد من مسميات في تلك القائمة السابقة.

---

(١) وهو مخطوط في مكتبة بلدية الإسكندرية ،برقم ١٧٥٨د،وهو مكتوب عام ١٢٨٥هـ.

نلاحظ أيضا أن معظم مؤلفي هذه الكتب من اللغويين[1] وقليل منهم من علماء القرآن الكريم،كما أن بعضهم مجهول ،لم يعرف إلا من خلال إشارات بسيطة في كتب التراجم أو الرجال أو الطبقات.

* فمن اللغويين:-

١- أبو عمرو بن العلاء.

٢- حمزة الزيات.

٣- أبو جعفر الرؤاسي.

٤- الكسائي.

٥- يعقوب الحضرمي.

٦- الفراء.

٧- الأصمعي.

٨- الأخفش الأوسط.

٩- أبو حاتم السجستاني.

١٠- ثعلب.

١١- ابن كيسان.

١٢- الزجاج.

١٣- أبو بكر الأنباري.

١٤- أبو جعفر النحاس.

١٥- ابن جني.

١٦- السيوطي.

١٧- الأشموني.

---

(١) أطلقت كلمة (اللغويين) هنا لتشمل النحاة،إذ إن النحو أحد فروع اللسانيات الحديثة.

* ومن علماء القرآن:ـ

١ - عبد الله بن عامر.

٢ - نافع بن عبد الرحمن.

٣ - حفص بن عمر الدوري.

٤ - أبو عمرو الداني.

٥ - ابن جزي الكلبي.

٦ - ابن الجزري.

٧ - السيوطي.

٤

الفصل الرابع

أنواع الوقف من وجهة نظر المؤلفين فيه

إنه "لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد،ولم يجز التنفس بين كلمتين حالة الوصل،بل ذلك كالتنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذ اختيار وقف للتنفس والاستراحة ،وتحتم أن لا يكون ذلك مما يحيل المعنى ،ولا يخل بالفهم .إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد،ولذلك حض الأئمة على تعلمه ومعرفته." (١)

ولهذا فقد اهتم العلماء بذلك الموضوع ،واستطاعوا أن يبينوا مواضع الفصل والوصل،واصطلحوا "على أن لأنواع الوقف والابتداء أسماء واختلفوا في ذلك." (٢)

ولبيان أنواع الوقف وأسماء هذه الأنواع عندهم ،فسوف نعرض لبعض ما جاء عنهم في ذلك ،واصفين إياه معقبين عليه محللين عباراتهم في ذلك ،مرتبين أصحابها ترتيبا زمنيا.

وسأقتصر على ابن الأنباري وأبي جعفر النحاس في القرن الرابع الهجري ،وابن طيفور السجاوندي في القرن السادس الهجري ،وابن جزي الكلبي الغرناطي وبدر الدين الزركشي في القرن الثامن الهجري ،وأبي الخير بن الجزري في القرن التاسع الهجري ،وجلال الدين السيوطي في القرن العاشر الهجري ،والأشموني في القرن الحادي عشر الهجري .ثم أحاول بعد ذلك استخلاص ما اتفقوا عليه وتنقيح ما اختلفوا فيه.

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢٢٤/١، ٢٢٥ والإتقان في علوم القرآن ٨٣/١. وراجع ص ٢٦ من هذا الكتاب .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢٢٥/١ والإتقان في علوم القرآن ٨٣/١.

١-أبو بكر بن الأنباري(ت٣٢٨هـ)

قسم ابن الأنباري الوقف إلى ثلاثة أقسام هي:

١- التام.

٢- الحسن.

٣- القبيح.

ثم فصل هذه الأقسام أو الأوجه – كما سماها- فقال:

" فالتام الذي يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ،ولا يكون بعده ما يتعلق به كقوله(تعالى):(وأولئك هم المفلحون): [١]

وقوله (تعالى) (أم لم تنذرهم لا يؤمنون): [٢]

والحسن هو الذي يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء بما بعده،كقوله تعالى:(الحمد لله)، لأن الابتداء ب(رب العالمين) [٣] لا يحسن لكونه صفة لما قبله.

والقبيح هو الذي ليس بتام ولا حسن ،كالوقف على (بسم) من قوله تعالى:(بسم الله)" [٤]. [٥]

إنه يقصد بالتام ما يتم المعنى عنده ،بحيث يمكن أن يقف القارئ،ثم يبدأ كلاما جديدا،له معنى جديد غير متعلق بما بعده،ويستشهد بأول سورة البقرة .فالوقف عند قوله سبحانه:(أولئك هم المفلحون)فيه وصف للمتقين.

---

(١) من سورة البقرة ٢/٥. وتمام الآية(أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون).

(٢) من سورة البقرة٢/٦. وتمام الآية:(إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون).

(٣) من سورة الفاتحة ١/٢ والآية هي(الحمد لله رب العالمين).

(٤) من سورة الفاتحة ١/١ وهي آية البسملة.

(٥) الإتقان في علوم القرآن١/٨٤.

أما البدء بـ(إن الذين كفروا) فيتعرض لقضية أخرى ،هي عناد الكافرين ومصيرهم .أي إن الآية الأولى تحدثت عن المتقين ،والثانية عن الكافرين. [1]

ويقصد بالوقف الحسن ذلك الذي إذا وقف القارئ عنده لأعطى معنى معينا،له تعلق بما بعده يزيده توضيحا.ويمثل لذلك بمن يقف عند قوله تعالى (الحمد لله)،حيث نجد هنا معنى معينا،وهو إسناد الحمد لله سبحانه.والجملة بذلك جملة اسمية ،توافر فيها ركناها الأساسيان ،المبتدأ والمركب الحرفي الذي جاء توزيعه الـ رقعي خبرا.

ولكن لو استأنف القارئ بعدها (رب العالمين)،لوجد مركبا إضافيا متعلقا بما قبله ،هو لفظ الجلالة ،وهذا التعلق تعلق وصفية .ولا يعطي هذا المركب معنى مستقلا بنفسه حالة وجود الجر في (رب)،إلا إذا وصل بموصوفة السابق (الله) ،حينئذ يتضح المعنى الكلي للجملة:

(الحمد لله رب العالمين).

ثم يتعرض للقبيح فيرى أنه (الذي ليس بتام ولا حسن).

وهو تعريف سلبي ،يذكرنا بتعريف النحاة العرب للحرف الذي هو ما ليس باسم ولا فعل. [2]

ويمثل لذلك بالوقف على (بسم) من قوله(بسم الله).

---

(١) انظر:تفسير القرطبي ١/١٨٢-١٨٥.

(٢) وهو ما يعرف في اللسانيات الحديثة بأن ترك العلامة في حد ذاته علامة .انظر:دراسة صوتية في لهجة الواحات الخارجة ٢٦٧.

وهنا نجد أن (بسم الله) مركب إضافي قد احتوى ركنه الأول علـــى مركب حرفي،ولا يمكن فصل ركن عن الآخر حيث يؤديان معا معنى معينـــا غير ما كان لأي منهما منفردا. [1]

ومن ثم فلا يمكن نطق(بسم) مفصولة عن الجلالة (الله)،بل لابد من وصل هذين الركنين لإعطاء المعنى المراد.

ومن الواضح أن ابن الأنباري لم يغرقنا في تعريفات منطقيـــة ،أو فلسفية عن طريق اللعب بالألفاظ .بل جاء تعريفه لهـــذه الأقســـام ميســـرا واستشهاده موفقا .

(١) انظر في تعريف المركب : دور الكلمة في اللغة ١٢٦ والعربية الفصحى١٨٣.

٣- أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)

اعتمد أبو جعفر النحاس على ابن الأنباري ومن سبقه في بيان أنواع الوقف ،ومن ثم لم نجد عنده تقسيما للوقف ،أو تعريفا لهذه الأقسام،بل قال:"إن من الوقف ما هو واضح مفهوم معناه ،ومنه مشكل لا يدري إلا بسماع وعلم التأويل ،ومنه ما يعلمه أهل العربية واللغة ،فيدري أين يقطع وكيف يأتنف".(١)

فهو هنا لم يقسم الوقف ،بل وصف أنواعه دون تسميتها.

ورأى أن هناك أنواعاً منه هي :-

١- واضح مفهوم معناه.

٢- مشكل لا يدري إلا بسماع وعلم التأويل.

٣- ما يعلمه أهل العربية واللغة.

لكنه لم يبين لنا حدود كل نوع ،أي كيف يمكن أن نحكم على أن هنا وقفا واضحا أو مشكلا أو مالا يعلمه إلا المتخصصون في العربية.

كما أنه لم يمثل لنا من القرآن الكريم بآيات توضح هذه الأنواع ،بل لم يشر إليها في كتابه ،على الرغم من أنه قد استخدم مصطلحات أخرى- دون تعريفها- هي:

(التام- الحسن- القبيح - الصالح- الكافي).

فنراه عند تعرضه - مثلا- لقول الله عز وجل:

---

(١) القطع والائتناف ١/٢٤.

(الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ،والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ،والله واسع عليم،يؤتي الحكمة من يشاء،ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ،وما يذكر إلا أولوا الألباب). [1]

فعند كلمة (فضلا) يقول : نافع :تم،أي قطع تام.

وعند كلمة (عليم) يقول : قطع حسن.

وعند كلمة (كثيرا) يقول: هذا قطع كاف عند أبي حاتم (السجستاني)،وزعم العباس بن الفضل أنه تمام،والصواب ما قاله أبو حاتم. [2]

من كلام أبي جعفر يكون القطع التام بعد انتهاء الجملتين الاسميتين المعطوفتين وهما:

١ – الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء.

٢ – الله يعدكم مغفرة منه وفضلا.

وهما جملتان اسميتان كبريان ،خبر كل منهما جملة فعلية ،فعلها مضارع ،والمعنى في أيهما ضد الأخرى.

ويكون القطع الحسن بعد انتهاء الفاصلة ، ومع ذلك فالجملة التي بعدها مفسرة لما قبلها . فإذا كان الله تعالى واسعاً عليماً . فإن من وسعه وعلمه تعالى أنه يؤتى الحكمة من يساء من عباده والجملتان هما :

١ – والله واسع عليم .

٢ – يؤتى الحكمة من يشاء .

---

(١) من سورة البقرة ٢/٢٦٨، ٢٦٩.

(٢) انظر:القطع والإئتناف ١/١٢٦.

ويكون القطع الكافي بعد الإتيان بجملتين فعليتين،الثانية منهما مفسرة للأولى،وهما:

- يؤتي الحكمة من يشاء.

- ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

ورغم أن تعلق هاتين الجملتين هو نفسه تعلق الجملتين السابقتين،(والله واسع عليم- يؤتي الحكمة من يشاء)،إلا أن القطع في الحالة الأولى حسن، وفي الثانية كاف .ولعل ذلك هو الذي حدا بأبي جعفر أن يذكر رأيين فيه،فأبو حاتم يراه قطعا كافيا ،على حين يراه العباس بن الفضل تاما . ومع ذلك فقد انحاز إلى رأي أبي حاتم ،دون أن يقدم لنا دليلا على هذا الانحياز ،بل قال : والصواب ما قاله أبو حاتم.

وقد مثل للقطع (الصالح)حين تعرض لقوله عز وجل:

(ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا). (١)

فقال:"هنا قطع صالح".(٢)

ولم يمثل للقطع القبيح.

ورغم ذلك نجد محقق كتابه (القطع والائتناف) يعرف هذه الأنواع تعريفات غير دقيقة ،دون أن يمثل لها ،حين قال:

" فالقطع التام هو ما يكون بعد تمام الكلام وليس له تعلق بما بعده،والكافي تعلقه معنوي ،والحسن تعلقه لفظي".(٣)

---

(١) من سورة النساء٤/٠٠ بة كاملة هي(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ،وقد أمروا أن يكفروا به ،ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا)..

(٢) القطع والائتناف ١٨١/١ وانظر ٢٠٥/١، ٢٠٩، ٢١٢.

(٣) القطع والائتناف ،مقدمة التحقيق ٩٨.

ولسنا ندري كيف يمكن فصل اللفظ عن المعنى ،حتى يتسنى لنا معرفة التعلق اللفظي من التعلق المعنوي .مع أنه لا انفصال بين اللفظ ومعناه،إذ إن الكلمة في اللغة كالعملة ،أحد وجهيها هو اللفظ ،والوجه الآخر هو المعنى. (١)

---

(١)انظر:المزهر ١/٨ والخصائص ١/١٥٠، ١٧٦، ٢٢١، ٢٢٥ واللسان والإنسان ٣٣ ومناهج البحث في اللغة ١٦ وبحوث ومقالات١٧-٢٣ وعلم الدلالة العربي ٣٠ واللغة بين العقل والمغامرة ٤٤،٤٥.

٣- محمد بن طيفور السجاوندي

(من علماء المائة السادسة للهجرة). (١)

قسم السجاوندي الوقف إلى خمسة أقسام حين قال:

" الوقف على خمس مراتب ،لازم ومطلق وجائز ومجوز لوجه ومرخص ضرورة "(٢)

ولم يقف عند هذه التقسيمات ،بل عرف كل قسم وشرطه ومثل له بآيات من القرآن الكريم.

فاللازم عنده هو "ما لو وصل طرفاه غير المراد،نحو قوله(تعالى):(وما هم بمؤمنين) يلزم الوقف هنا،إذ لو وصل بقوله(تعالى) (يخادعون الله)، (٣)

توهم أن الجملة صفة لقوله(تعالى):(بمؤمنين).فانتفى الخداع عنهم،وتقرر الإيمان خالصا عن الخداع ".(٤)

إنه هنا يشير إلى جملتين هما:

١- ما هم بمؤمنين.

٢- يخادعون الله.

فالجملة الأولى اسمية،والثانية فعلية.فإذا وقفنا عند نهاية الجملة الأولى (مؤمنين)لصار النفي في أولها متعلقا بإسناد الخبر إلى

---

(١) لم نجد لهذا الرجل تاريخ وفاة في المراجع التي تحت يدي،فكلها أجمعت أنه عاش في القرن السادس الهجري.انظر:طبقات المفسرين ٢/١٥٥ وإنباه الرواة ٣/١٥٣ والوافي بالوفيات ٣/١٧٨.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/٨٤.

(٣) من سورة البقرة ٢/٨،٩ والآيتان هما:(ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين .يخادعون الله والذين آمنوا ،وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون).

(٤) الإتقان في علوم القرآن ١/٨٤.

المبتدأ،وعندها ينتفي الإيمان من المنافقين المشار إليهم بالضمير(هم)،وهو ما يتطلبه السياق.

وإذا وصلنا هكذا (وما هم بمؤمنين يخادعون الله) لصارت جملة (يخادعون)صفة للخبر(مؤمنين)، وعندها تعمل الأداة (ما) النفي في الصفة لا الخبر ،ويتحول المعنى إلى أنهم ليسوا مؤمنين مخادعين ،بل هم مؤمنون فقط ،وهو ضد المراد من الآية الكريمة.

ويعرف المطلق فيقول عنه:"ما يحسن الابتداء بما بعده ،كالاسم المبتدأ به نحو(الله يجتبي). [1]

والفعل المستأنف نحو(يعبدونني لا يشركون بي شيئا). [2]

ومفعول المحذوف نحو(سنة الله). [3]

والشرط نحو(من يشأ الله يضلله). [4]

والاستفهام – ولو مقدرا– نحو(تريدون عرض الدنيا). [5]

والنفي نحو(ما كان لهم الخيرة) [6]

---

(١) من سورة الشورى ٤٢/١٣،والآية كاملة هي:(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه،كبر على المشركين ما تدعوهم إليه،الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب).

(٢) من سورة النور٢٤/٥٥ و... (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ،وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ،وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا،يعبدونني لا يشركون بي شيئا ،ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).

(٣) من سورة الأحزاب ٣٣/٣٨ ،والآية كاملة هي:(ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له،سنة الله في الذين خلوا من قبل ،وكان أمر الله قدرا مقدورا).

(٤) من سورة الأنعام ٦/٣٩ ،والآية كاملة هي:(والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ،ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم).

(٥) من سورة الأنفال ٨/٦٧،والآية كاملة هي:(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ،تريدون عرض الدنيا ،والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم).

و(إن يريدون إلا فراراً). (٢)

يرى هنا السجاوندي أن الوقف المطلق هو ما يحسن الابتداء بما بعده ،وهذا تعريف بالضد ،كأنه قال:اللون الأبيض هو ما يكون غيره أسود وهو ما فعله حين عرف الوقف باستحسان البدء بعده ،ورآه أنواعا هي:

١- المبتدأ.

٢- الفعل المستأنف به.

٣- المفعول المحذوف فعله.

٤- الشرط.

٥- الاستفهام.

٦- النفي.

وفيما يلي شرح وتفصيل لكلامه:

أولا:المبتدأ:

هو ما تبدأ به جملة اسمية تفيد معنى معيناً ،من خلال إسناد صفة أو اسم إلى ذلك المبتدأ،(٣)سواء وصلت بما قبلها أم فصلت عنه.

فإذا قلنا مثلا:

(سرت في الليل ،السير متعة).

---

(١) من سورة القصص ٦٨/٢٨ ،والآية كاملة هي:(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون).

والنص مختصر من الإتقان ٨٤/١

(٢) من سورة الأحزاب ١٣/٣٣ والآية كاملة هي:(وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة ،وما هي بعورة ،إن يريدون إلا فرارا).

(٣) انظر في تعريف المبتدأ والجملة الاسمية:الكتاب ١٢٦/٢ والجمل ٣٦ وشرح اللمع ٣٤/١ والجامع الصغير ٤١ وهمع الهوامع ٩٣/١ وتسهيل الفوائد ٤٤ وشرح الأشموني ٤٥/١ وحاشية الخضري ٨٨/١.

فمتعة السير التي أفادتها الجملة الثانية الاسمية،ليس لها علاقة بما قبلها،بل يمكن الابتداء بها،وفصلها عما قبلها ،مع وجود المعنى كما هو.

أي إن هذه الجملة الاسمية لها تركيبها الخاص من حيث الإسناد،وهو مستقل عما سواه،ولذا يحسن الابتداء بها.

من هنا نجد الآية التي مثل بها ابن طيفور ،بها جملتان هما:

أ- كبر على المشركين ما تدعوهم إليه.

ب- الله يجتبي إليه من يشاء.

فمعنى الجملة الأولى وتركيبها غير معنى الجملة الثانية وتركيبها،ولذا رأى السجاوندي استحسان الابتداء بالأخيرة .

ثانياً:الفعل المستأنف به:

ويقصد به ما تبدأ به جملة فعلية ،تفيد إسناد حدث معين إلى اسم مرفوع أو صفة مرفوعة ،يسمى أي منهما فاعلا؛ [1] سواء اتصلت بغيرها عن طريق العطف أو التوكيد ،أم استقلت بنفسها.

فإن قلنا مثلا:

(الشمس مشرقة ،تبعث الدفء).

فالجملة الفعلية التالية للاسمية لا علاقة لها – من حيث البناء [2] أو الإعراب – بالجملة الأولي،ولذا يحسن الابتداء بها،وكذلك الحال مع الجملتين في الآيه سبـ[illegible]ـهما:

١- وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا.

٢- يعبدونني..

(١) انظر في تعريف الجملة الفعلية: شرح المفصل١/٧٤ وتسهيل الفوائد ٧٥،٤٨ وهمع الهوامع ١/١٥٩ والجمل١٠ وحاشية الخضري١/١٥٨ وشرح الأشموني١/٢٠٠.

(٢) لا أقصد بالبناء هنا ما هو ضد الإعراب بل التركيب Structure.

ولذلك [illegible] الفصل هنا،حتى يتنبه السامع إلى المعنى الجديد ،الذي تب[illegible] الجملة الفعلية المبدوءة بالفعل المضارع ،والتي تتطلب العبادة لله وحده.

وفي كلتا الحالتين نجد الجملة الاسمية- في الحالة الأولى- والفعلية في الحالة الثانية ذات معنى نحوي معين ،ولا علاقة بينهما- من حيث الإعراب والتركيب – وبين ما سبقهما من جمل،ولذلك كان البدء بكل منهما حسنا.

ثالثا:مفعول المحذوف:

ويقصد به السجاوندي الاسم المصدر المنصوب بفعل محذوف،يقدر من السياق .وقد سماه سيبويه (ت ١٨٠هـ) ما ينصب من المصادر[1]

ودرسه بقية النحاة في باب (حذف عامل المفعول المطلق). [2]

ومعنى ذلك أن هذا المصدر المنصوب يكون مع فعله المحذوف جملة فعلية يحسن الابتداء بها،شأنها في ذلك شأن الجملة الفعلية المذكور فعلها ،والتي عرضنا لها في الحالة السابقة.

ولا علاقة – من حيث الإعراب وتركيب الجملة- بين هذا المفعول وما قبله ،كما يتضح من سياق الآية التي مثل بها،وهي:

(١) انظر:الكتاب ٢/٣٢٨،٣١٩.

(٢) انظر:شرح المفصل١/١١٣-١٢٤ والكافية في النحو١/١١٧-١٢٩ والجمل في النحو٣٠٥-٣٠٧ والجامع الصغير١٠٧-١٠٨ وشرح السيوطي على الألفية ٩٠وهمع الهوامع١/١٨٨-١٩٤ والأساليب الإنشائية٧٥-٧٩ ومن ذلك قولنا في الفصحى المعاصرة(شكرا،عفوا).وكذا في لهجاتنا المصرية المعاصرة انظر:بناء الجملة في لهجة الواحات الخارجة١١١-١١٢.

(ما كان علي النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل) (١) فكل من الجملتين لا علاقة لها بالأخرى ،من حيث ما ذكرناه سابقا.

فالأولى اسمية منفية منسوخة بـ(كان)،والثانية فعلية محذوفة الفعل،الذي يدل عليه المفعول المذكور،والتقدير :

"سن لمحمد صلي الله عليه وسلم التوسعة عليه في النكاح سنة الأنبياء الماضية".(١)

ولذلك نجد أن هذا المفعول المحذوف فعله ،وبالتحديد هذه الكلمة ذاتها (سنة)،قد بدئت بها آيتان في القرآن الكريم هما:

- قوله تعالى (سنة الله في الذين خلوا من قبل،ولن تجد لسنة الله تبديلا). (٢)

قوله تعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ، ولا تجد لسنتنا تحويلاً). (٤)

وهذا يدل على عمق نظرة السجاوندي ،في إطلاقه الوقف في هذا الموضع.

رابعا –الشرط:

ويقصد به أسلوب الشرط المكون من أداة الشرط وجملته وجوابه،وهو أسلوب قائم بذاته ،لا يتعلق بما قبله من حيث الإعراب وتركيب الكلمات فيه،ويورد ابن طيفور الآية التالية ليمثل بها على

---

(١) من سورة الأحزاب ٣٨/٣٣

(٢) تفسير القرطبي ١٩٥/١٤

(٣) من سورة الأحزاب ٦٢/٣٣

(٤) من سورة الإسراء٧٧/١٧

ذلك،وهي قو- سبحانه وتعالى:(والذين كـذبوا بآياتنـا صـم وبكـم فـي الظلمات من يشأ الله يضلله ،ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم).

فأسلوب الشرط هنا هو:(من يشأ الله يضلله).

وهو غير متعلق بالجملة الاسمية: (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكـم في الظلمات). ولذلك يطلق الفصل بينهما،ويحسن الابتداء بأسلوب الشرط إذ المعنى تم في الجملة الاسمية ،حين أسند الصمم والبكم إلى المكذبين ،ثـم جاءت المشيئة ،فمن أراد الله له الضلال أضله.

من هنا وجدنا أن بعض الآيات قد بدأت بأسلوب الشرط،ومعلوم أن الوقف لابد منه في نهاية كل آية ،حتى تبدأ آية أخرى. مثل:

قوله تعالى:(ولو شئنا لرفعناه بها،ولكنه أخلد إلى الأرض). (٢)

وقوله تعالى:(لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيمـا أخـذتم عـذاب عظيم). (٣)

وقوله تعالى(ومن يهد الله فهو المهتد ،ومن يضلل فلن تجـد لهـم أولياء من دونه). (٤)

بل إن بعض سور القرآن الكريم قد بدأت بأسلوب الشرط،وهي ست نذكرها:

أ-سورة الواقعة ،وأولها قول الحق سبحانه:

(إذا وقعت الواقعة).

ب- سورة المنافقون ،وتبدأ بقوله عز وجل:

---

(١) انظر:تفسير القرطبي٦/٤٢٢.

(٢) من سورة الأعراف ٧/١٧٦

(٣) من سورة الأنفال٨/٦٨

(٤) من سورة الإسراء ١٧/٩٧

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ،والله يعلـم إنـك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون).

جـ–سورة التكوير ،وأولها قوله سبحانه وتعالي:

(إذا الشمس كورت).

د– سورة الانفطار ،وتبدأ بقول الحق تعالي:

(إذا السماء انفطرت).

هـ– سورة الزلزلة ،وتبدأ بقوله تبارك وتعالي:

(إذا زلزلت الأرض زلزالها).

و– سورة النصر،وتبدأ بقوله عز وجل:

(إذا جاء نصر الله والفتح). [1]

خامسا:الاستفهام:

ويقصد به أسلوب الاستفهام ،أي جملة اسمية أو فعليـة مسبوقة بأداة استفهام ،وهو أسلوب قائم بذاته – مثل بقية أساليب الإنشاء في اللغة العربية– فلا يتعلق بما قبله من حيث الإعراب أو تركيب كلماته.

ولذا أطلق السجاوندي الوقف قبله،واستحسن الابتداء به– ومثل له بقوله تعالي:

(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فـي الأرض ،تريـدون عرض الدنيا). [2]

(١) أرقام هذه السور علي التوالي هي:٥٦، ٦٣، ٨١، ٨٢، ٩٩، ١١٠.

(٢) سورة الأنفال ٨/٦٨

فالجملة الأولى منفية ،انتهى معناها وتركيب كلماتها عند كلمة (الأرض)،لتبدأ بعد ذلك جملة استفهامية أخرى،لها نسق خاص في التركيب،وهي:

(تريدون عرض الدنيا ؟). وهنا نجد أن أداة الاستفهام غير موجودة،وتقديرها:

(أتريدون عرض الدنيا أو هل تريدون عرض الدنيا). [1]

ولذلك احترز السجاوندي عند ذكره هذا الأسلوب فقال:

" الاستفهام ولو مقدرا ".[2]

فالتنغيم هنا قام مقام أداة الاستفهام،والمعنى يحتمل التقريع والاستنكار.

نرى من هنا أن كثيرا من آيات القرآن العظيم قد بدأت بأسلوب الاستفهام ،وأول الآيات لازم الابتداء به مثل:

أ- قوله سبحانه: " ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن،واتبع ملة إبراهيم حنيفا... "[3]

ب- قوله جل وعلا: " ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم... "[4]

جـ- قوله عز وجل: " أهم يقسمون رحمة ربك.. " [5]

كما أن هناك سورا بدأت بأسلوب الاستفهام ،وهي ست:

١- سورة الإنسان ،وأولها قوله تعالى:

---

(١) ولم يقل بأنها تحمل معنى الاستفهام إلا السجاوندي وحده وقال بخبريتها القرطبي وابن كثير والفخر الرازي.انظر تفسير القرطبي٨/٤٦

(٢) الإتقان ١/٨٤

(٣) من سورة النساء٤/١٢٥

(٤) من سورة التوبة٩/٧٠

(٥) من سورة الزخرف٤٣/٣٢

" هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ".[1]

٢- سورة النبأ ،وأولها قوله سبحانه:

" عم يتساءلون ".

٣- سورة الغاشية ،وأولها قوله تبارك اسمه

" هل أتاك حديث الغاشية ".

٤- سورة الشرح ،وأولها قوله تبارك اسمه:

" ألم نشرح لك صدرك ".

٥- سورة الفيل ،وأولها قوله جل وعز:

" ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ".

٦- سورة الماعون،وأولها قوله سبحانه:

" أرأيت الذي يكذب بالدين ".[2]

ما صدق النفي:

المقصود بالنفي هنا الجملة المنفية ،سواء كانت اسمية أم فعلية.

وما يصدق علي الجملة الفعلية المثبتة (الفعل المستأنف بـــه)،ومـــا يصدق علي الجملة الاسمية المثبتة(المبتدأ)- فيما سبق- يصدق هنا علـــى جملة النفي .ولذلك استشهد السجاوندي بالنوعين،الاسمية المنفيـــة وهـــي قوله سبحانه: "ما كان لهم الخيرة ".

والفعلية المنفية،وهي قوله عز وجل :" إن يريدون إلا فرارا ".

---

(١) قال المفسرون إن معني (هل) هنا هو (قد)وبذلك يتحول الاستفهام إلي الخبر المحقق بـ(قد)انظر: تفسير النيسابوري(غرائب القرآن ورغائب الفرقان)٢٩/١٠٩

(٢)وأرقام هذه السور علي التوالي هي٧٦، ٧٨، ٨٨، ٩٤، ١٠٥، ١٠٧.

ونلاحظ أن بناء كلتا الجملتين لا يختلف عنه حالة الإثبات ،إلا ما كان من قانون الزيادة فيهما ،أي زيادة أداة النفي المناسبة للمعنى المراد.وذلك على النحو التالي:

١ - كان لهم الخيرة + (ما) كان لهم الخيرة.

=ما+الجملة نفسها.

٢ - يريدون فرارا + (إن) يريدون (إلا) فرار. [1]

إن + الجملة + إلا + المفعول به

فلم يحدث تقديم أو تأخير ،أو تنكير أو تعريف ،أو تثنية أو جمع إلا ما كان من الفصل بين المفعول وفاعله من ناحية ، والمفعول به من ناحية أخرى ، في الجملة الثانية .

بل الجملة كما هي،مع زيادة مورفيم النفي-ولا علاقة بين أي من هاتين الجملتين وما قبلها، من حيث التركيب أو الإعراب.ففي الحالة الأولى نجد الآية التالية:

(وربك يخلق ما يشاء ويختار ،ما كان لهم الخيرة).

فالجملة الأولى[2] تخبرنا أن الله تعالى له حرية المشيئة والاختيار فيما يخلق ،والثانية تبين أن ليس للبشر اختيار. [1]وكل منهما لها تركيبها الخاص بها.

---

(١)لاحظ هنا أن مورفيم النفي(إن)قد ثبت بمورفيم الاستثناء(إلا)،وتحولت الجملة هنا من الإثبات إلى النفي ثم إلى الإثبات مع الحصر والتوكيد مرة أخرى : يريدون فرارا:إن يريدون فرارا : إن يريدون إلا فرارا.= إثبات نفي:إثبات توكيد وحصر.

(٢)إن النظرة السطحية تنظر لتركيب(وربك يخلق ما يشاء ويختار)على أنه جملة واحدة ،اسمية.أما النظرة العميقة فترى فيه أربع جمل هي:

أ-جملة الخبر(يخلق).

ب-جملة صلة الموصول(يشاء)

وفي الحالة الثانية نرى الآية:

(ويستئذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة ،وما هي بعورة ،إن يريدون إلا فرارا). فالجملة التي نحن بصددها لا تتعلق من حيث الإعراب أو التركيب بما سبقها ،بل هي مستقلة بنفسها.

ولذلك نرى السجاوندي يعقب على كل الأحوال الستة السابقة فيقول:

"حيث لم يكن كل ذلك مقولا لقول سابق".[2] أي لا ارتباط بينها وبين ما سبقها من جمل أو تراكيب لغوية.

أما القسم الثالث أو الوجه الثالث - كما يسميه السجاوندي - من أقسام الوقف ،فهو الجائز ،ويعرفه بقوله:

" ما يجوز فيه الوصل والفصل ،لتجاذب الموجبين من الطرفين،نحو (وما أنزل من قبلك)،فإن واو العطف تقتضي الوصل،وتقديم المفعول على الفعل يقطع النظم ،فإن التقدير : ويوقنون بالآخرة ".[3]

إنه هنا يشير إلى الوقف الجائز ،أي ما يجوز فيه الوقف ،وإذا كان الوقف ضد الابتداء ،فكذلك يجوز فيه الوصل.

ويمثل له بقوله عز وجل:

(والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون). [4]

جـ-جملة معطوف على جملة الصلة(يختار)أو على جملة(يخلق)

د- الجملة الرئيسة التي تضمنت تلك الجمل كلها ،وهي الاسمية المبدوءة بالمركب الإضافي (ربك).

(١) انظر: تفسير القرطبي ٣٠٥/١٣

(٢) الإتقان في علوم القرآن/٨٤/١/٨٥ .

(٣) المرجع نفسه ٨٥/١

(٤) من سورة البقرة ٤/٢

فيرى أنه يمكن الوقف عند المركب الظرفي(قبلك)، كما يمكن الوصل حتى نهاية الآية ويعلل ذلك بأن كلاً منهما صحيح.

فالوصل يصح لوجود مورفيم العطف(الواو)،الذي عطف جملة (وبالآخرة هم يوقنون) علي جملة (يؤمنون..).

أي إنه يشير إلى أن كلتا الجملتين تكون ركنا من ركني المركب العطفي ،الذي هو:(يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون).ولا يمكن الفصل بين ركني هذا المركب – شأنه شأن بقية المركبات– ولذلك يعضد نظرته بإعادة ترتيب الجملة المعطوفة عليها،فيقدرها ب:

(يوقنون بالآخرة).وحينئذ يحدث التشابه بين الركنين من حيث استمرار زمن الفعل وتعديته بمورفيم الجر(الباء).

وهذه نظرة عميقة لهذه الجملة ،حيث فطن إلى أصل تركيبها ،فأعاد ترتيب أجزائها ،فقدم الفعل والفاعل على المفعول ،وبذلك لم يفصل بينها وبين ما سبقها .

أما باعتبار النظر إلى البنية السطحية،[1]فإن جملة (بالآخرة هم يوقنون) ،جملة مقدم فيها المفعول به الذي هو المركب

---

(١) مصطلح البنية العميقة Deep Structure والبنية السطحية Surface Structure قال بهما لغوي أمريكي معاصر هو تشومسكي N.Chomsky وذلك في إطار نظريته التوليدية التحويلية Transformational Generative ويشير بمصطلح البنية السطحية إلى شكل الجملة الفونولوجي المكتوب أو المنطوق ،على حين يشير بمصطلح البنية العميقة إلى الفهم والتفسير والتأويل لهذا الشكل الفونولوجي. وقد أفاض اللغويون الغربيون في شرحهما.انظر :

١-N.Chomsky Cartesian Linguistics:P.٤٦,

٢-N.Chomsky; Languoge and mind ;p.١٧

٣-John Lyons;New Horizons;p.٢٧

٤-R.Wordhuagh; Introduction to Luguistics;p. ١٢٣, ١٢٤

الحرفي(بالآخرة)،ولهذا تختلف عن تركيب جملة(يؤمنون بما..)،وهو ما أشار إليه السجاوندي بقوله(قطع النظم)، ولهذا أجاز الفصل بينهما.

والقسم الرابع من أقسام الوقف عند ابن طيفور هو المجوز لوجه. ويقول فيه:

"والمجوز لوجه نحو(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة)، لأن الفاء في قوله (فلا يخفف عنهم)تقتضي التسبب والجزاء،ذلك يوجب الوصل،وكون لفظ الفعل على الاستئناف يجعل للفصل وجها ".[1]

إنه يستشهد هنا على هذا القسم الرابع بقوله عز وجل :

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون). [2]

حيث يجيز الوقف على الجملة الاسمية،التي هي :

(أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة).

ثم يبتدئ جملة جديدة ،هي الفعلية المبدوءة بالمضارع المنفي (فلا يخفف عنهم العذاب).

والملاحظ هنا أن الجملتين مرتبطتان بالفاء التي تقتضي الجزاء وبذلك يجوز الوصل،ولا يوقف على أولهما ،ولكن مجيئ الجملة الثانية الفعلية بصورة الفعل المضارع ،فإنه يجوز الفصل بينهما والبدء بها قياسا على الفعل المستأنف به- كما مضى شرحه.[3]

والقسم الأخير من أقسام الوقف يسميه ابن طيفور (المرخص ضرورة).

---

(١)الإتقان في علوم القرآن١/٨٥

(٢)سورة البقرة ٢/٨٦

(٣) انظر ص ٦٠ من هذا البحث.

ويعرفه بقوله:

" والمرخص ضرورة مالا يستغني ما بعده عما قبله،لكنـــه يـــرخص لانقطاع النفس وطول الكلام،ولا يلزمه الوصل بالعود،لأن ما بعـــده جملـــة مفهومة ،كقوله (والسماء بناء).لأن قوله (وأنزل)لا يســـتغني عـــن ســـياق الكلام ،فإن فاعله ضمير يعود إلى ما قبله،غير أن الجملة مفهومة".(١)

يرى هنا أن علة الوقف هي انقطاع النفس وطول الكـــلام ،ذلـــك أن الصوت الخارج من الجهاز الصوتي لابـــد لـــه مـــن هـــواء خـــارج مـــن الرئتين،وهذا الهواء يتراوح بين إنسان وآخر،فقد يخرج الهـــواء بمقـــدار كاف لإنتاج عدة أصوات متتابعة تتكون منها كلمات وجمـــل تـــؤدي دلالـــة معينة،وقد ينتهي الهواء عند كلمة معينة ،فيقف القارئ بعدها ،ثـــم يكمـــل دون الرجوع إلى ما سبق ،شريطة أن يكون هذا الكلام المبتدأ به ذا معنـــى مفهوم من الكلام الموقوف عنده ؛ مع عدم استغناء أحدهما عن الآخر.

يوضح ذلك السجاوندي باستشهاده بالآية الكريمة التالية:

(الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء،وأنزل من السماء مـــاء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ،فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون). (٢)

فالوقف على جملة (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء).

يفهم منه المعنى المراد ،والبدء بالجملة الفعلية(وأنزل من الســـماء ماء)لا يصح ،إذ إنها جملة تكون ركنا من ركني المركب العطفي ،مع جملـــة (جعل لكم)، والضمير في فعليهما (جعـــل– أنـــزل) يعـــود علـــى الضـــمير الموصول (الذي)،ولما كان الضمير في الفعل (أنزل) مفهوما أي مقدرا مـــن

---

(١) الإتقان في علوم القرآن١/٨٥

(٢)سورة البقرة ٢/٢٢

السياق، يعود على الحق سبحانه ،فقد رخص البدء بجملة هذا الفعل(أنــزل من السماء ماء). التي أفادت إنزال الماء من السماء بقدرة الله تعالى،ومع ذلك لم تستغن عما قبلها،بل ارتبطت به من ناحيتين هما العطــف وضــمير الفاعلية في الفعل (أنزل) ؛ الذى يحيل إلى الله تعالى .

هذه هي دراسة السجاوندي لأنواع الوقف ،وهي دراســة تحليليــة واعية،لم تترك مصطلحا إلا مثلت له وشرحته ، كما تمتاز بعمــق النظــرة وكثرة التفصيلات.

٤- ابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)

جاءت دراسة ابن جزى الكلبي للوصل والفصل في مقدمة كتابه (التسهيل لعلوم التنزيل) ، كما سبق عرض ذلك في حينه[١] .

وقد قدم لكلامه في الوصل والفصل بقوله "اختلف الناس في كثير من الوقف"[٢] ثم يفصل هذا الاختلاف فيري (من أقوالهم فيها راجح ومرجوح وباطل)[٣] غير أنه لم يعرف هذه الأقوال أو يمثل لها ، أو يشرحها أو يتكلم عن تسميتها ، بل ينتقل فجأة إلى تعريفه ونظرته للوقف ... :

(وهي أربعة أنواع وقف تام ، وحسن ، وكاف ، وقبيح)[٤].

ويشرح ابن جزى هذه الأقسام فيقول :

" وذلك بالنظر إلى الإعراب والمعنى ، فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده في إعرابه أو معناه ، وما بعده مفتقر إليه كذلك ، لم يجز الفصل بين كل معمول وعامله ، وبين كل ذي خبر وخبره ، وبين كل ذي جواب وجوابه ، وبين كل ذي موصول وصلته ."[٥]

---

[١] انظر ص ٤٢ هذا البحث

[٢] التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٢

[٣] المرجع نفسه ١/١٢

[٤] المرجع نفسه ١/١٢ وقد أنث كلمة الوقف ، حيث أشار إليها بالضمير (هي) ، وهنا يتبادر إلى الذهن احتمالان :

الأول : أن يكون قد وصف عملية الوقف أو حالة الوقف ، وبذلك يحيل الضمير (هي) إليها .

الثاني : أن يكون الأصل الذي حققه المحقق به الضمير (هو) ، ونقله (هي) . لعدم تحقيق الكتاب على يد محقق آخر ، وعدم رؤيتنا المخطوطة الأصلية ، لا نستطيع ترجيح أي من الاحتمالين على الآخر .

فهو هنا يبين سبب تقسيم الوقف ، قبل أن يورد هذه الأقسام ، حيث يرى أن الإعراب والمعنى هما المعول عليه في ذلك . فلا يجوز عنده الفصل بين المتعلقات في المعنى والإعراب في الوجوه التالية :

١ : بين كل معمول وعامله :

فلا يفصل بين الأفعال الناسخة ومعموليها أو أحدهما ، وبين الحروف الناسخة ومعموليها أو أحدهما ، وبين مورفيمات النصب وأفعالها المنصوبة ، وبين مورفيمات الجزاء (الشرط) وأفعالها المجزومة ، ومورفيمات الجر ومجروراتها ، وبين الفعل وفاعله أو مفعوله .

فكل هذه ثنائيات تمثل عاملا ومعموله ، حيث تعمل (أن) النصب في الفعل المضارع ، وتعمل (في) الجر في الاسم بعدها .. وهكذا .

و إذا قلنا مثلا : (إن) ووقفنا ، دون نطق كلمة بعدها ، فلن يفهم شيء ، لأن المعنى قد بتر . ولا يتم إلا بذكر معموليها ، اسمها المنصوب وخبرها المرفوع ، وعندئذ يكتمل المعنى ليصير :

(إن ربي لسميع الدعاء) [١] أي إن المبتدأ هو المركب الإضافي (ربي)، والخبر هو المركب الإضافي أيضا (لسميع الدعاء) ، وكلاهما يفتقر إلى ما قبله ، الذي لا يفهم إلا بهما كذلك .

كذلك إن قلنا : (ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من ......) .

ووقفنا عند عامل الجر (من) لبتر المعنى وما فهم . لذلك لابد من إتمامه بذكر معمول (من) المجرور ، وهو المركب الظرفي (حولك) ، لتصير الجملة :

(ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) [٢] .

٢: بين كل ذي خبر وخبره :

والأخبار في العربية ثلاثة هي :

أ – خبر المبتدأ ، وهو مرفوع .

---

[١] من سورة إبراهيم ٣٩/١٤

[٢] من سورة آل عمران ١٥٩/٣

ب- خبر الأفعال الناسخة ، وهو منصوب .

ج- خبر الحروف الناسخة ، وهو مرفوع .

وتوجد هذه الأخبار داخل نطاق جملة اسمية ؛ بحيث تكون ركنا أساسيا من ركنيها . وأصحاب هذه الأخبار أو معمولاتها هي- على التوالي:

أ- المبتدأ.

ب- اسم الفعل الناسخ .

ج- اسم الحرف الناسخ .

ولكنا – في الفقرتين (ب ، ج) نعزو الأخبار إلي الفعل الناسخ والحرف الناسخ ؛ فنقول مثلا (خبر كان أو خبر لعل) ، مع أن هذه الأخبار مسند إليها اسم العمل الإعرابي دون الإسناد الذي ظل كما هو .

فإن قلنا مثلا قول الله تعالي :

(هذا عذب فرات سائغ شرابه) .[1]

ووقفنا عند المبتدأ (هذا) ؛ بحيث تفصل بقية الجملة ، لما فهمنا منه شيئا كما أن الابتداء بالخبر(عذب فرات) لا يفيد شيئا أيضا . ولا يفهم المعنى إلا بوصلهما معا . فذو الخبر هنا هو المبتدأ (هذا) ، وخبره هو المرفوع بعده (عذب) .

٣: بين كل ذي جواب وجوابه :

والأجوبة في العربية هي :

أ- جواب الشرط .

ب- جواب القسم .

---

[1] سورة فاطر ١٢/٣٥

ج- جواب الأمر أو الطلب .

د- جواب النهي .

وذلك كقوله تعالى :

أ- (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) .[1]

ب- (وتالله لأكيدن أصنامكم) .[2]

ج- (ادعوني أستجب لكم) .[3]

وقول ابن جزى بعدم الفصل بين كل ذي جواب وجوابه يعني إتمام نطق تلك الأساليب دون فصل بين أركانها . وهي أساليب مستقلة بنفسها في الإعراب والمعني .

ومع ذلك فإنه يمكن الفصل بين أجزاء أسلوب القسم في حالات ثلاث هي :

أ- وجود جملة القسم في آية ، وجوابه في آية أخرى . كقوله تعالى : (والعصر . إن الإنسان لفي خسر) .[4]

وقوله تعالي : (والنجم إذا هوي . ما ضل صاحبكم وما غوي) .[5]

ب- وجود العطف على المقسم به ، كقوله تعالي :

(والنازعات غرقا . والناشطات نشطا... يوم ترجف الراجفة) .[6]

---

[1] سورة لقمان ١٢/٣١

[2] سورة الانبياء ٥٧/٢١

[3] سورة غافر ٦٠/٤٠

[4] سورة العصر ٢،١/١٠٣

[5] سورة النجم ٢،١/٥٣

[6] سورة النازعات ٧٩ / ١-٦

وقوله سبحانه : (والتين والزيتون . وطور سينين ... لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) . [١]

ج- ذكر قصة موجزة بين جملة القسم وجملة الجواب : وذلك كما في سورة الفجر : (والفجر. وليال عشر . والشفع والوتر ..... ألم تر كيف فعل ربك بعاد ... إن ربك لبالمرصاد) . [٢]

ومعلوم أن رؤس الآي في نفسها مقاطع ، يجب الوقوف عندها – كما سبق .

ولذلك لابد من الوقف على نهاية كل آية . ولذا يفصل بين جملة القسم وجوابه .

كما أن هناك جمل شرط يوقف عليها ، لعدم وجود جواب ظاهر منطوق لها ، مثل قوله تعالى :

(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى)[٣].

وكذلك قد توجد جمل شرط في آية ، وجوابها في آية أخرى ؛ ولذلك يوقف على كل منها بقطع الجواب عن شرطه ؛ كما في قوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة) . [٤]

وأيضا حين العطف على جملة الشرط قبل الجواب . كما في قوله سبحانه : (إذا جاء نصر الله والفتح ... فسبح بحمد ربك ...) . [٥]

---

[١] سورة التين ١/٩٥-٤

[٢] سورة الفجر ١/٨٩-١٤

[٣] سورة الرعد ٣١/١٣

[٤] سورة الواقعة ١/٥٦،٢

[٥] سورة النصر ١/١١٠-٣

٤: بين كل ذي موصول وصلته :

وذو الموصول هو الاسم عند النحاة العرب ، أو الضمير الموصول.
وهو ضمير مبهم لا يزال إبهامه إلا بضمير شخصي منفصل أو متصل ؛ فإن كان متصلا فهو في جملة فعلية ، وإن كان منفصلا فهو في جملة اسمية وكلتا الجملتين تسمى صلة الموصول ، ولا محل لها من الإعراب.[1]

فإبهام الضمير الموصول لا يفهم إلا بجملة بعده هي جملة الصلة ، وعلى ذلك فلا يمكن فهم المراد من هذا الضمير إلا بذكر هذه الجملة بعده ففي قوله تعالى :

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) .[2]

إن وقفنا عند الضمير الموصول (الذين) لا نجد أية دلالة في الذهن: بل لابد من توضيح المراد من هذا الضمير ، وهو ما تفسره الجملة الفعلية (آمنوا) . التي هي الصلة لهذا الموصول، والضمير العائد فيها مورفيم الفاعلية (واو الجماعة).

كذلك في قوله تعالى :

(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين) .[3]

---

(١) انظر الكتاب ١٢٨/١ ، ١٠٥/٢ -١٠٩ وشرح المفصل ١٣٨/٣-١٦٠ والكافية ٣٥/٢-٤٦ وتسهيل الفوائد ٣٣-٣٨ ومغني اللبيب ٧٧/١-٧٨ ، ٢٦٩-٢٢٧ وشرح الاشموني ١٥٥/١ -١٣٦ وهمع الهوامع ٨١/١-٩٣ .

(٢) سورة الكهف ١٠٧/١٨، ٣٠

(٣) سورة الزخرف ٧١/٤٣

إن وقفنا عند كلمة (ما) – التي هي ضمير موصول – لم نفهم المراد منها ، إلا إذا وصلنا بجملة (تشتهيه) التي هي جملة الصلة ، والضمير العائد فيها هو مورفيم المفعولية المتصل (الهاء) .

ثم يتدرج ابن جزى في الكلام ، فيصف لنا الوقف الكافي ، فيقول : " إن كان الكلام الأول مستقلا يفهم دون الثاني ، إلا أن الثاني غير مستقل إلا بما قبله فالوقف على الأول كاف . وذلك في التوابع والفضلات ؛ كالحال والتمييز، والاستثناء المتصل آكد من المنقطع ، ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة " . [1]

يعرف الوقف الكافي بأنه ما كان ما قبله مستغنيا عما بعده ، وما بعده غير مستغن عنه . أي ما كان قبله ركنان أساسيان في الجملة ، وما بعده فضلة أو تابع . ومثل لذلك بالحال المفرد والتمييز ، وغيرهما كالصفة المفردة ، والبدل المفرد ، والاستثناء المتصل . ويرى أن هذه التوابع إن جاءت جملة فهي أولى بالفصل من الوصل ، وكذلك الاستثناء إن جاء منقطعا .

ذلك لأن الجملة تستقل بمعناها عند تمام ركنيها الأساسيين ؛ وهما الفعل والفاعل في الجملة الفعلية ، والمبتدأ والخبر في الجملة الاسمية .

ثم تأتي الفضلة أو التوابع متعلقة بأحد ركني الجملة ؛ فالحال مثلا قد تكون مبينة لهيئة الفاعل أو مؤكدة للفعل أو مبينة الخبر . وبذلك لا تفهم وحدها ، ولا تستقل في معناها . بل يمكن فهم ركني الجملة فقط عند الوقف عليهما ، وهو ما سماه ابن جزى (الوقف الكافي) .

وتوضح ذلك بالآيات التالية :

---

[1] التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٢

أولا : الحال :

أ- قوله تعالي : (فتبسم ضاحكا من قولها) . [1]

ب- قوله تعالي : (وجاء أهل المدينة يستبشرون) . [2]

فهنا نجد جملتين فعليتين هما :

أ- فتبسم (هو) .

ب- وجاء أهل المدينة .

وقد أدت هاتان الجملتان المعني المراد منهما ، وهو التبسم في الأولى ، ومجيء أهل المدينة في الثانية . ولا تستقل الحال الأولى (ضاحكا) بمعناها حين النطق بها ، فهي مؤكدة للفعل (تبسم) ، ولذلك لابد من نطقها متصلة مع الجملة كلها .

وفي الجملة الثانية نرى الحال جملة فعلية هي (يستبشرون) ، وهي مبينة للفاعل (أهل المدينة) ، ولكنها تستقل بمعنى معين ، لكونها جملة . وهو ما فطن إليه ابن جزي في قوله : (ووصل التوابع والحال إذا كانت أسماء مع ذات آكد من وصلها إذا كانت جملة) . [3]

أي إنه يمكن الفصل عند نهاية الركنين الأساسيين ، والبدء بالجملة الفعلية (يستبشرون) . ولولا الموقع الوظيفي لها (الحال) لأشبهت الفعل المستأنف به عند السجلوندي ؛ فيما سماه (الوقف المطلق) . [4]

---

[1] سورة النمل ١٩/٢٧

[2] سورة الحجر ٦٧/١٥

[3] التسهيل لعلوم التنزيل ١٢/١

[4] انظر صـ٥٨ من هذا الكتاب .

ثانيا : الاستثناء :

أ- قوله تعالي : (مالهم به من علم إلا اتباع الظن) .[1]

ب- قوله تعالي : (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق).[2]

نجد في الآية الأولى أن الاستثناء منقطع ، أي ليس المستثنى جزءا من المستثنى منه . فليس الظن جزءا من العلم .[3]

وهو ما رأي ابن جزي الوقف عنده كافيا خلافا للاستثناء المتصل في الآية الثانية . حيث إن المستثنى جزء من المستثنى منه ، فمن شهد بالحق جزء ممن لا يملك الشفاعة إلا أنهم يملكونها . ولا يؤدي المستثنى معنى مستقلا بنفسه إذا فصل عما قبله ، بل يفهم من نطق الجملة كلها معا حتى يستقيم المعنى . ورغم ذلك فإن ما قبل إلا يمكن نطقه وحده والوقف عليه ، وله معنى يختلف بعض الشيء عنه إذا وصل بالمستثنى .

فجملة (لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) قد أفادت عدم امتلاك الذين يدعون الشفاعة من دون الله ، وهو معنى محدد واضح . وإذا اتصل بالمستثني وجملة الصلة ، ظهرت الجملة كاملة واضحة ؛ فهناك من يملك الشفاعة وهم الشهداء بالحق العالمون به .[4] ولذا رأي ابن جزي أن الوصل هنا آكد من الفصل.

---

[1] سورة النساء ١٥٧/٤

[2] سورة الزخرف ٨٦/٤٣

[3] انظر : معاني القران ٤٧٩/١-٤٨٠

[4] انظر : تفسير ابن كثير ١٣٦/٤ وتفسير القرطبي ١٢٢/١٦، ١٢٣

وهناك استثناء متصل يمكن الوقف بعد المستثنى منه ثم البدء بأداة الاستثناء دون الرجوع إلى المستثنى منه ، ويكون الوقف هنا تاما ، وذلك عندما يكون المستثنى منه في آية ، والمستثنى في آية أخرى . ذلـك لأن رؤوس الآيات مقاطع – كما سبق . ومثال ذلك قوله عز وجل :

(وأنهم يقولون مالا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات).[١]

وقوله سبحانه : (كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين)[٢]

وقوله تعالى : (لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا . إلا حميما وغساقا) .[٣]

ثم يستطرد ابن جزي ليعرف الوقف الحسن والتام فيقول :

" وإن كان الكلام مستقلا والثاني كذلك ، فإن كانا في قصة واحدة فـالوقف على الأول حسن ، وإن كانا في قصتين مختلفتين فالوقف تام " .[٤]

وهذا كلام مبهم لم يخبرنا فيه صاحبه عن علاقة فواصل الآيات به، وكيف يتكون الكلام ذو الطرفين ؟ وكيف يستقل كل منهما عن الآخر ؟ وهل هذا الاستقلال في المعنى أم في الإعراب ؟

فأما الاستقلال في المعنى فهو لا يوجد في الآية الواحدة ، إذ لابـد من تعلق الكلام بعضه ببعض أو نظمه – كما عبر عنـه الجرجـاني (ت ٣٩٥ هـ) .[٥]

---

(١) سورة الشعراء ٢٦/٢٢٦،٢٢٧ .

(٢) سورة المدثر ٧٤/٣٨،٣٩ .

(٣) سورة النبأ ٧٨/ ٢٤،٢٥ .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ١/١٢

(٥) انظر : دلائل الإعجاز ١٢،٥١ والإتقان في علوم القرآن ٢/١٠٨،١٠٩ والبرهان في علوم القرآن ١/٣٩

وذلك عن طريق العطف أو التوكيد أو الوصف أو النفي أو الاستدراك أو الاستثناء . وليس هناك انفصال بين كلمات الآية الواحدة مهما تعددت جملها ، ولننظر إلى الآية التالية مثلا :

(وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين). (١)

في هذه الآية نجد ست جمل هي :

أ- وقال

ب- إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا

ج- ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض .

د- ويلعن بعضكم بعضا .

هـ- ومأواكم النار .

و- ومالكم من ناصرين .

وقد تعلقت هذه الجمل بعضها ببعض ، فالجملة الأولى فعلية ابتدائية، وكل الجمل بعدها متعلقة بها ؛ الثانية بمقول القول ، و بالعطف بالمورفيم (ثم) في الجملة الثالثة . وبالواو في الثلاث جمل الباقية . فاتخاذ الأوثان من دون الله في الدنيا يسبب للكافرين الاعتراف بتكفير بعضهم بعضا في الآخرة كما يسبب لهم اللعن ، وإيواءهم النار ، وعدم وجود ناصرين لهم . (٢)

---

(٢) سورة العنكبوت ٢٩/٢٥

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣/٤٠٩ وتفسير القرطبي ١٣/٣٣٨، ٣٣٩

وكذلك استقلال المعنى بين الآيات لا يوجد ، فلا انفصال بين آيـــة و أخرى ، بل تفضي كل آية إلى ما بعدها ، بل كل سورة إلـــى مـــا بعـــدها ، فالقرآن الكريم كله قطعة واحدة .[1]

ولنأخذ مثلا علي ذلك الآيات التالية :

(إنا أعطيناك الكوثر، فصل لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر).[2]

نجد هنا ثلاث آيات ، الأولى مسببة للأخـــريين ، فوجـــود الكـــوثر لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدعاة للصلاة والنحر ، وبقـــاء العقـــب ، وبتر الكاره المبغض أبي جهل .[3] وهكذا نجد المعنى حلقات يفضي بعضها إلى بعض ، ولا تستقل آية بمعناها دون سواها . وأما الاستقلال من حيـــث الإعراب فهو سهل ، وكثيرا ما يحـــدث أن تســـتقل كـــل جملـــة بتركيبهـــا وإعرابها، عما قبلها وما بعدها . وقد أشرنا إلى ذلك في حديثنا عن الوقف المطلق عند السجاوندي .[4]

وما قال به ابن جزي الكلبي عن وجود الكلام المستقل عما قبله في قصة واحدة ، فلعله يقصد استقلال الإعراب والتركيب ، لا استقلال المعنى . فمثلا في قصة داود عليه السلام يقول الحق سبحانه :

(ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطيـــر وألنـــا لـــه الحديد) .[5]

---

(١) انظر : إعجاز القران ٥٨ والإتقان في علوم القرآن ٢/١٠٨ ،١٠٩

(٢) سورة الكوثر ١٠٨

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٥٥٦-٥٥٩ وقيل أبو لهب والعاص بن وائل .

(٤) انظر صـــ ٥٨ وما بعدها من هذا الكتاب .

(٥) سورة سبأ ٣٤/١٠

حيث توجد هنا جمل ثلاثة فيها ، لكل منها تركيبها الخاص بهـا ، وإعرابها وهي :

١- ولقد آتينا داود منا فضلا .

٢- يا جبال أوبي معه والطير .

٣- وألنا له الحديد .

وهي جمل فعلية . إلا أن الثانية قد استعاضت عن الفعل في أولهـا بمورفيم النداء (يا) (١) . وبذلك يكون الوقف حسنا عند نهاية كل جملـة (كلام) ؛ لاستقلاله عما قبله في الإعراب والتركيب .

ومن ناحية استقلال الكلام عما قبله في آية واحدة ، وكل منهما في قصة مختلفة ، فلا يوجد في القرآن الكريم . إذ الانتقال من قصة إلى أخرى لا يأتي إلا عقب الفواصل ، لا وسط الآية نفسها .

فحين يتكلم سبحانه وتعالى عن تحريم الأرض المقدسة علي بنـي إسرائيل ، وتيههم فيها أربعين سنة ، فتلك قصة . وحين يتكلم عن قابيـل وهابيل ابني آدم عليهم السلام ، يأتي به في آية أخرى عقـب الفاصـلة ، وتلك قصة أخرى . وذلك في قوله تعالى :

(قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين . واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبـل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قـال إنمـا يتقبـل الله مـن المتقين). (١)

---

(١) اختلف نحاة العربية القدماء في جملة النداء ؛ هل هي اسمية أم فعلية ، فعلى البنية السطحية نراها اسمية ، وبتقدير فعل بدلاً من المورفيم (يا) نجدها فعلية : أي على أساس النظر إلى بنيتها العميقة .سورة المائدة ٥/٢٦،٢٧

وبذلك يكون الوقف التام عند ابن جزي الكلبي على رؤس الآيات .

أما النوع الرابع وهو الوقف القبيح ، فلم يعرفه أو يمثل له . ولعله أراد خلاف ما ذكر ، فعرفه تعريفا سلبيا؛ أي مالم يكن تاما ولا حسـنا ولا كافيا فهو قبيح .

ثم يختم كلامه فيرى أنه قد " يختلف الوقف باختلاف الإعـراب أو المعنى" (١).وتلك تلخيص لما سبق : فمرة يكون الوقف تاما ، ومرة أخرى يكون حسنا ، وثالثة يكون كافيا ، ورابعة يكون قبيحا . وهذا عن طريـق المعنى وتعلق الجمل بعضها ببعض ، في التركيب والإعراب – كما سبق .

ثم يعطي رخصة للقارئ : فيرى أنه " قد يقف لبيان المراد وإن لـم يتم الكلام" . (٢) غير أنه لم يمثل لهذا المراد أو نوع الوقوف عندئذ .

وهكذا جاء كلام ابن جزي الكلبي مقتضبا موجزا غير مشـروح أو مستشهد من القرآن الكريم .

---

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ١٢/١

(٢) المرجع نفسه ١٢/١

٥- بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)

لا نجد للزركشي رأيا في الوقف أو أقسامه ، بل إنــه جمــع آراء غيره ممن سبقوه ، دون أن يعزوها إلى أصحابها ،بل كني عنهم بقوله:

(أكثر القراء) مرة و(بعضهم) مرة أخرى .يتضح ذلك في قولــه : "والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام : تــام مختــار ، وكــاف جائز، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك . وقسمه بعضهم إلى ثلاثة ، وأسقط الحسن ، وقسمه آخرون إلى اثنين ، وأسقط الكافي والحسن " . [١]

ثم راح يفسر هذه الأقسام ويعرفها تعريفات تكاد تتطابق مع ما قاله أبو جعفر النحاس من قبل . [٢] إلا أنه لم يشر إليه ؛ عكس ما فعــل مــع جمال الدين الفرغاني . [٣]

ومع ذلك يري أن هناك وقف الواجب ؛[٤] وهو قبل (والله) : ثم البدء به ، في قوله عز وجل : (حذر الموت والله محيط بالكافرين) . [٥]

ولكن لم يعرفه أو يفسره . كما رأى أن هناك وقفا للتنزيه [٦] فــي قوله تعالي : (وهو الله) ثم البدء (في السماوات وفي الأرض يعلم ســركم وجهركم) . [٧]

---

(١) البرهان في علوم القران ١/ ٣٥٠

(٢) انظر صــ٥٣ من هذا الكتاب

(٣) انظر البرهان ١/٣٥٩_٣٦٢

(٤) انظر المرجع نفسه ١/٣٥٤

(٥) سورة البقرة ٢/ ١٩

(٦) انظر : البرهان ١/٣٤٧

(٧) سورة الأنعام ٦/ ٣

وربما كان قصده هنا تنزيه الحق تعالى عن المكان، على أن (لفظ الجلالة خبر للمبتدأ (هو) ؛ غير متعلق بالمركبين الحرفيين بعده (في السماوات وفي الأرض) فيصير تعلقهما بالفعل) (يعلم) .

ثم يتكلم عما يسميه المراقبة في الوقف [٨] (وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البدل ؛ كل واحد منهما إذا فرض فيه الوقف به وجب الوصل في الآخر وإذا فرض فيه الوصل وجب الوقف في الآخر " .[١]

وفيما استشهد به الزركشي نجد الآية الكريمة : (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) [٢]ورأي الوقف فيها على النحو التالي :

أ – ذلك الكتاب لا ريب / فيه هدى للمتقين .

ب – ذلك الكتاب لا ريب فيه / هدى للمتقين .

ج – ذلك الكتاب لا ريب / فيه / هدى للمتقين .

فالوقف في الحالة الأولى عند (لا ريب) يجعل الآية جملتين اسميتين، وجملة (لا ريب) خبر للمبتدأ (ذلك) في الجملة الأولى ، والمركب الحرفي (فيه) خبر مقدم للمبتدأ (هدى) في الجملة الثانية .

والوقف في الحالة الثانية عند (فيه) يجعل هذا المركب الحرفي خبر(لا) النافية للجنس ، أو متعلقا بالخبر المحذوف وجوبا (موجود).

وتكون كلمة (هدى) خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (هو) : يعود على الكتاب . [٣] على حين منع الزركشي الوقف على الموضعين معا (لا ريب –

---

(٨) البرهان ٣٦٥/١ وانظر النشر في القراءات العشر ٢٣٧/١– ٢٣٨

(٩) سورة البقرة ٢/٢

(١) انظر : البرهان في علوم القران ٥١/١

فيه) : حيث يكون المركب الحرفي (فيه) واقعا بين وقف (لا ريب) وابتداء (هدي) .

وحينئذ يفرغ معناه لانفصاله عما قبله وما بعده .

وقد أخذ مصطلح (المراقبة) لهذا الوقف من العروض . (١)

ثم يفطن الزركشي إلى سبب تلك الأقسام والمسميات ، وهو أن العلماء " صنفوا فيه تصانيف : فمنها ما أثروه عن النحاة ، ومنها ما أثروه عن القراء ، ومنها ما استنبطوه ، ومنها ما اقتدوا فيه بالسنة فقط ؛ كالوقف على أواخر الآي ، وهي مواقف النبي صلى الله عليه وسلم"(٢).

ومع ذلك كله يقول:" الوقف على كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز".(٣)

(١) انظر : النشر في القراءات العشر ٢٣٨/١والإتقان في علوم القرآن ٨٧/١ والمراقبة هي تجاور سببين خفيفين في جزء واحد فقط ، وقد سلم أحدهما وزحف الآخر ، فلا يزاحف السببان المجتمعان ولا يسلمان من الزحاف ، بل لابد من مزاحفة أحدهما وسلامة الآخر ،وهي تحل في بحرين هما المضارع والمقتضب . انظر معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض ١٤٣.

(٢) البرهان في علوم القران ٣٥٤/١

(٣) المرجع نفسه ٩٨/١

٦-أبو الخير بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)

مر بنا أن لابن الجزري كتابا مستقلا في الوقف والابتداء ، لكنه لم يصل إلينا ، وقد استوعب فيه أقسام الوقف وطبقها على القرآن الكريم كله. ثم لخص ذلك في كتاب آخر هو (النشر في القـراءات العشـر) : الـذي اعتمدنا عليه في هذا العرض . يقول في ذلك ابن الجزري :

" أتيت على ما وقفت عليه من ذلك واستقصيته في كتاب (الاهتداء إلى معرفة الوقف والابتداء) ثم استوعبت أوقاف القرآن سورة سورة ، و ها أنا أشير إلى زبد ما في الكتاب المذكور" . (١) وبعد أن استعرض أقوال الأئمة السابقين عليه ، قال :

" وأقرب ما قلته في ضـبطه أن الوقـف ينقسـم إلـى اختيـاري واضطراري" . (٢)

والسبب في هذين القسمين هو أن " الكلام إما أن يتم أو لا ، فإن تم كان اختياريا " . (٣)

ثم يفصل هذين القسمين ، فيرى أن القسم الأول و هو الاختيـاري منه التام والكافي والحسن . فالتام هو الذي" يوقف عليه ويبتدأ بما بعده ، وليس له تعلق بما بعده ألبته ؛ لا من جهة اللفظ ولا من جهـة المعنـى . وأكثر ما يكون في رؤوس الآيات وانقضاء القصص ؛ نحو الوقـف علـى (بسم الله الرحمن الرحيم) ، والابتداء (الحمد لله رب العالمين) " . (٤)

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢٢٤/١

(٢) المرجع نفسه ٢٢٥/١ والإتقان في علوم القران ٨٥/١

(٣) النشر في القراءات ٢٢٥/١ والإتقان في علوم القران ٨٥/١

(٤) النشر في القراءات ٢٦١/١ والإتقان ٨٥/١

وهذا التعريف يعني استقلال الكلام الموقوف عليه عما بعده ، دون تعلق بينهما في اللفظ أو المعنى . وقد استشهد ابن الجزري على ذلـــك ، بقوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم .الحمد لله رب العالمين) . [1] أري أنهما آيتان منفصلتان ؛ لكل منهما معناها الخاص وتركيبها الخاص بهـــا . فمعنى البسملة غير معنى الحمد . وذلك في رؤوس الآيات ، أما انقضـــاء القصص فقد أوردناه مشروحاً عند تعرضنا للوقف التام عند ابن جـــزي،[2] وهو مقارب لما رأه ابن الجزري هنا .

ويتعرض للوقف الكافي فيقول فيه :

(وإن كان له تعلق فلا يخلو هذا التعلق إما أن يكـــون مـــن جهـــة المعنى فقط ، وهو الوقف المصطلح عليه بالكافي ؛ للاكتفاء به عما بعده ، واستغناء ما بعده عنه .وهو كالتام في جواز الوقف عليه والابتـــداء بمـــا بعده،وهو يكثر في الفواصل وغيرها ، نحو (ومما رزقناهم ينفقون) وعلى (من قبلك) و(على هدى من ربهم) . [3] وهـــذا أيضـــا شـــبيه بمـــا قالـــه السجاوندي في الوقف الجائز، ولكن ابن الجزري جعل هذا الوقف مزدوجـــا بين الفواصل وغيرها ؛ أي على رؤوس الآيات كالوقف التام ووسط الآية. ولعل هذا الوقف حين يكون وسط الآية هو ما أشار إليه ابن الجزري حين رأى أن الوقف الكافي " قد يتفاضل في الكفاية كتفاضل التام " . [4]

---

(٥) سورة الفاتحة ١/١،٢

(٦) انظر ص٨١،٨٢ من هذا الكتاب

(٣) انظر النشر في القراءات ١/٢٦٦ - ٢٨٨ والإتقان ١/٨٥

(٤) النشر في القواعد ١/٢٢٨ و الإتقان ١/٨٥ .

ومثّل بأول سورة البقرة . وذلك هو ما شرحناه عند حديثنا عن الوقف الجائز عند السجاوندى وعليه فإن هذا الوقف الكافي هو نفسه الجائز عند السجاوندى والحسن ابن جزى الكلبي . [1] مع مراعاة الاختلاف في دلالة المصطلح (الكافي) عند ابن جزي وابن الجزري.

فما قاله ابن الجزري عند تعريف الوقف الكافي هو اكتفاء الكلام عما بعده واستغناء ما بعده عنه . أي إن المعنى في (وما أنزل من قبلك) قد اكتفى عن المعنى فى (وبالآخرة هم يوقنون) . فالجملة الأولى أفادت معنى الإيمان بالكتب السابقة على القرآن ، والثانية قد أفادت الإيمان والتيقن باليوم الآخر وما بعده من جنة أو نار . وكلا المعنيين مستقل عن الآخر – أو بعبارة ابن الجزري – المعنى الأول مكتف عما بعده ، والثاني مستغن عما قبله .

ثم ينتقل إلي الوقف الحسن فيقول عنه :

" وإن كان التعلق من جهة اللفظ فهو مصطلح عليه بالحسن لأنه في نفسه حسن مفيد يجوز الوقف عليه دون الابتداء بما بعده بالتعلق اللفظى[2] " ثم يمثل له بقوله : " نحو الوقف على بسم الله وعلى الحمد الله ولكن الابتداء (الرحمن الرحيم) لا يحسن لتعلقه لفظا[3] ". ولعله يرى التعلق اللفظي بمعنى الإعراب .وبذلك يكون ما قاله عن هذا الوقف الحسن هو نفسه ما قاله ابن جزى الكلبي عن الوقف الكافي[4] . فهو يمثل

---

(١) انظر ص ٦٨، ٨٢ من هذا الكتاب .

(٢) النشر ١/٢٢٦ والإتقان ١/٨٥ .

(٣) النشر ١/ ٢٢٨، ٢٢٩ .

(٤) انظر ص ٧٩ من هذا الكتاب .

بالبسملة والآية التالية لها[1] . فالمركب الحرفي (بسم الله) له معنى محدد هو البدء باسم الله، أما الوصفي بعد ذلك (الرحمن الرحيم) فهـو متعلـق بلفظ الجلالة (الله) ؛ إذ هو صفة مجرورة له ، ولا تفصـل الصـفة عـن موصوفها حيث يكونان معا جزءا من أجزاء الجملة هو المركب الوصـفي؛ ولذلك تتعلق الصفة بموصوفها في الإعراب والجنس والعدد والتعريـف أو التنكير،ولا يبدأ بها لحاجتها إلى موصوفها قبلها؛ وهذا هو التعلق اللفظي .

يلاحظ هنا التقارب الكبير بين الوقف التـام والكـافي ، واخـتلاف الوقف الحسن عنهما ، ومع ذلك يرى ابن الجزري أنه " قد يكـون الوقـف حسنا على تقدير وكافيا على آخر ، وتاما على غيرهما "[2] .

وقد يكون مرد ذلك إلى أن هذه الأنواع (تام – كاف – حسن) تندرج تحت اسم الوقف الاختياري .

أما الوقف الاضطراري فيقول عنه :

" وإن لم يتم الكلام كان الوقف عليه اضطراريا ، وهـو المصـطلح عليه بالقبيح ، لا يجوز تعمد الوقف عليه إلا لضرورة من انقطـاع نفـس ونحوه ؛ لعدم الفائدة أو فساد المعنى نحو (صراط الذين[3])[4] .

وهذا التعريف للوقف القبيح هو ما افتقدناه عند ابن جزي الكلبي ؛ حين عرف الوقف التام والحسن والكافي وترك تعريف القبـيح[5] .وهـو – كما نرى خلاف الوقف الاختياري بأقسامه الثلاثة ، وقد علل تسميته بالقبيح

---

[1] من سورة الفاتحة ١/١، ٢

[2] النشر في القراءات ١/٢٢٩ والإتقان ١/٨٥

[3] سورة الفاتحة ١/٧

[4] النشر في القراءات ١/٢٢٦ والإتقان ١/٨٥

[5] انظر ص ٨٦ من هذا البحث

لعدم وجود فائدة منه أو لفساد المعنى المراد . ثم مثل له بالوقوف على قوله تعالى (صراط الذين) ؛ حيث لا يفهم معنى مراد عند الوقوف على الضمير الموصول (الذين) الذى لا يتضح معناه إلا بوجود جملة الصلة، وهو ما فطن إليه ابن جزى الكلبى حين قال بعدم جواز الفصل بين كل ذى موصول وصلته [1] . وما قلناه حينئذ يغنينا عن الإعادة هنا .

ثم يفصل إفساد المعنى وتغييره بقوله :

" وقد يكون (الوقف القبيح) بعضه أقبح من بعض ؛ كالوقف على ما يحيل المعنى نحو (وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه) [2] . فإن المعنى يفسد بهذا الوقف إذ إنه يثبت أن البنت مشتركة فى النصف مع أبويه ، وإنما المعنى أن النصف للبنت دون الأبوين اللذين لا يشتركان معها فيه ، بل لكل منهما السدس [3] .

أى إن الوقف عند (ولأبويه) يجعل المعنى مختلفا عما هو مراد حقيقة فالتركيب الحقيقى هو جملة (فلها النصف) ، التى تتحول إلى تركيب جديد هو جملة (فلها النصف ولأبويه) ، ففى الجملة الأولى يعطف مورفيم الواو جملة على أخرى ، وفى الحالة الثانية يعطف المورفيم نفسه مركبا حرفيا على آخر مثله؛ وهما (فلها – لأبويه) وهى حالة الوقف القبيح.

فى الحالة الأولى نجد التركيب (لأبويه) ليس معطوفا على مركب (فلها)، بل هو داخل فى إطار جملة جديدة هى (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد) ، وهنا نجد أن هذا المركب (لأبويه) واقع

---

(1) انظر ص ٧٨ من هذا الكتاب

(2) سورة النساء ١١/٤ ولطول الآية نورد هنا جملتى الشرط المفهوم منهما المراد ، وهما " وإن كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد " .

(3) النشر فى القراءات العشر ٢٢٩/١ وانظر الإتقان فى علوم القرآن ٨٥/١،٨٦

جملة جواب الشرط للأداة (إن) ، وبذلك تكون كلمة (السدس) مبتدأ الخبر (لأبويه) ، الذى بدل منه بدل اشتمال مركب (لكل واحد منهما) ، ومن ثم لا يتعلق المبتدأ (النصف) بالمركب (لأبويه) ، أما الوقوف عند (ولأبويه) فيجعله مشتركا فى المبتدأ (النصف)مع المركب (فلها) ، وهو ما لا يراد من الآية الكريمة ولذلك سماه ابن الجزرى إفساد المعنى .

وبنظرة فلسفية تشبه ما فعله نحاة العربية القدامى ؛ يستعرض صاحب النشر الآية الكريمة " وقالت اليهود عزيز ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله [1] .

فيقول الوقف على (عزيز ابن) و (المسيح ابن) قبيح والابتداء بـ (ابن) أقبح والابتداء بـ (عزيز) و(المسيح) أقبح منهما [2] .

حيث يتخيل مواضع للوقف عندها ، وأخرى يبتدأ بها ، على النحو التالى :

أ – الوقف : فى موضعين هما :

- وقالت اليهود عزيز ابن .
- وقالت النصارى المسيح ابن .

وسمى الوقف فى هذين الموضعين قبيحا ، ذلك لأن المفهوم هنا هو إسناد البنوة لعزير والمسيح عليهما السلام ، دون تحديد المراد من هذه البنوة لمن تكون ! .

ب – الابتداء : فى موضعين هما :

---

[1] سورة التوبة ٩/٣٠ والآية كاملة هى (وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ، ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون *

[2] النشر فى القراءات ١/٢٣٠ والإتقان ١/٨٦ .

– ابن الله وقالت النصارى المسيح .

– ابن الله ذلك قولهم بأفواههم .

وقد جعل هذين الابتداءين أقبح من الوقف في الموضعين السابقين؛ إذ إنه هنا أضيفت البنوة إلى الله تعالى ، دون تحديد المراد منها ؛ أي من يكون الابن ؟ ! وذلك ما ينافي العقيدة تماما .

ج – الابتداء : في موضوعين آخرين هما :

– عزير ابن ...

– المسيح ابن ...

حيث حكم بأنه أقبح من المواضع السابقة في الوقف والابتداء ، حيث أسندت البنوة صراحة إلى عزير والمسيح (عليهما السلام) ثم أضيفت إلى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

ولعلنا هنا يمكننا أن نحكم على هذه النظرة في هذه الآية الكريمة بالفلسفة والألاعيب المنطقية التي لا يمكن أن تتحقق في الواقع اللغوي ، بل إنه يصطنع هذه الألاعيب ويتخيل وقفا أو ابتداء لا يمكن أن يتحول من دائرة الكفاءة إلى الأداء ، فهذه الوقوف يمكن أن تختزن في الذهن فقط ، أما أن تتحول واقعا لغويا منطوقا ؛ فهو ما لا نظن أن يحدث أبداً ، ولعله بذلك يشبه نحاة العربية القدامى حين تخيلوا أوزانا منطقية في الصرف العربي مع علمهم أنها لا توجد في الواقع اللغوي المنطوق [1] .

يتعرض ابن الجزري بعد ذلك لما لم يتناوله أحد ممن تكلموا عن الوقف والابتداء غيره ، فيرى أن الابتداء لا يكون إلا اختياريا ، لأنه ليس كالوقف تدعو إليه ضرورة ، فلا يجوز إلا بمستقل بالمعنى موف بالمقصود،

---

[1] انظر المنصف شرح التصريف ١/١٧-٢٨ وطبقات النحويين واللغويين ٢١٩، ٢٨٠

وهو فى أقسامه كأقسام الوقف الأربعة ، ويتفاوت تماما وكفاية وحسنا وقبحا ؛ بحسب التمام وعدمه وفساد المعنى وإحالته " [1] .

لعل ابن الجزرى هو الوحيد – فيما نعلم – الذى تكلم عن الابتداء حين رآه اختياريا فقط ؛ إذا ليست هناك حاجة تدعو المتكلم أو تضطره إلى البدء بجملة ما أو كلمة فيها ، ومع ذلك فقد قسمه إلى تام وحسن وكاف وقبيح ، وبيّن أن العلة فى هذا التقسيم هى تمام المعنى أو تحويله إلى معنى آخر .

وقد مثل لهذه الأقسام المتفاوتة في قوله :

" الوقف على (ومن الناس) فإن الابتداء بـ (الناس) قبيح و (يؤمن) تام؛ فلو وقف على (من يقول) كان الابتداء بـ (يقول) أحسن من ابتدائه بـ (ومن) ...)[2] .

إنه هنا يشير إلى قوله تعالى :

" ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين"[3].

ويرى أن الابتداء بأنواعه هذه ، يمكن أن يتحقق على النحو التالى:

– الناس من يقول آمنا ...

سمى ذلك ابتداء قبيحا ؛ ذلك لأنه فصل بين ركنى المركب الحرفى (من الناس) وهو ما لا يمكن فى اللغة [4] .

---

[1] النشر فى القراءات ١/٢٣٠ والإتقان ١/٨٦

[2] النشر فى القراءات ٢٣٠ والإتقان ١/٨٦

[3] سورة البقرة ٢/٨

[4] لعل ذلك هو ما قاله ابن جزى الكلبى من عدم الفصل بين العامل ومعموله انظر ص ٧٨ من هذا الكتاب .

- يقول آمنا بالله وباليوم الآخر [1] .

يراه ابتداء أحسن من ابتدائه بـــ (من) فى :

- من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر .

وقال عنه إنه أقل حسنا من الابتداء بـــ (يقول) فى الآية نفســـها ، ولعل ذلك لأن (من) هنا – فى الابتداء بها – تحتمل الموصولية والشرطية والاستفهام ، وهو ما يسمى اللـــبس Imbiguaty ولا يفـــرق بـــين هـــذه الاحتمالات إلا السياق والإلقاء .

فالسياق هو الذى يفرق بين (من) الشرطية والنوعين الآخرين ، إذ إنه لابد لها من جملة جواب إذا اعتبرنا أن جملة (يقول) هى جملة الشرط ، مع ملاحظة وجوب جزم الفعل (يقول) ليصير (يقل) ؛ وهو ما لا وجود لـــه فى الآية . والتنغيم Intonation هو الذى يفرق بين (من) الاســـتفهامية و الموصولية ، ولهذا جعل ابن الجزرى ذلك الابتداء أقل حسنا من الابتـــداء بالفعل (يقول) حيث لالبس فيه .

ومع ذلك يظل ما قلناه عن الوقف منطبقا على الابتداء ، حيث تخيل ابن الجزرى مواضع يمكن الابتداء بها ، مع أنها غير موجودة فى الواقـــع اللغوى المنطوق [1] .

---

(١) أورد ابن الجزرى ابتداء آخر جعله تاما ، ويبدأ بـــ (يؤمن) ، وليس فى الآية التى نحن بصددها هذه الكلمة (يؤمن) ، كما لا توجد فى الآيات السابقة لها أو اللاحقة بهـــا ، ولعله أراد كلمة (آمنا) فى الآية نفسها ، يدل على ذلك أنه سماه ابتداء تاما ، حيث هـــى جملة فعلية كل أركانها موجودة ، وهى: آمنا بالله وباليوم الآخر. ويصح أن تنقـــل هـــذه الجملة من مقول القول لهؤلاء المنافقين إلى عموم الابتداء بها ، للتعبير عن حال قائلهـــا .ولذلك جعلها ابن الجزرى ذات ابتداء تام ، وقد نقل السيوطى نص ابن الجـــزرى ولـــم يصحح كلمة (يؤمن) .

ثم أورد بعض الملاحظات على الوقف منها :

أ – " قد يغتفر في طول الفواصل والقصص والجمل المعترضة ونحو ذلك ، وفي حالة جمع القراءات والترتيل ، ما لا يغتفر في غير ذلك: فربما أجيز الوقف والابتداء لبعض ما ذكر ، ولو كان لغير ذلك لم يبح [٢] .

إنه يرى هنا أن الوقف يمكن أن يتحقق وسط الآية إن طالت ، كآيات سورة البقرة[٣] وآل عمران والنساء والمائدة ، كما يراه ممكنا أثناء سرد أحداث قصة معينة كقصة يوسف أو موسى أو إبراهيم عليهم السلام ، كما يرى إمكانه أيضا بين الجمل المعترضة كجملة (لو تعلمون) في الآية (وإنه لقسم – لو تعلمون – عظيم) [٤] ، حيث اعترضت هذه الجملة بين الموصوف وصفته، ويبيحه أيضا عند قراءة كلمة ما بقراءتين مختلفتين ، وأظن أن الوقف هنا يكون لإظهار الفرق بين المعنى في كل قراءة على حدة كمن يقف على كلمات (السماء – الأرض) يظهر تحقيق الهمزة مرة وتسهيلها مرة أخرى ، وكمن يقف على جملة (ربنا باعد) [٥] ليقرأها مرة برفع ربنا على الابتداء ، وبناء الفعل (باعد) على الفتح بوصفه

---

(١) انظر ص ٩٧من هذا الكتاب

(٢) النشر في القراءات ١/٢٣٦ والإتقان ١/٨٦

(٣) في سور البقرة أطول آية في القرآن كله ، هي آية الدين ، ورقمها ٢٨٢ وتحتوى على أربعين جملة ذات مو[illegible] ظيفية مختلفة .

(٤) سورة الواقعة ٥٦/٧٦

(٥) سورة سبأ ٣٤/١٩ والآية كاملة هي : " فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلنا هم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور " .

ماضيا[1] ، ومرة بنصب (ربنا) على النداء المحذوف أداته وبناء الفعل (باعد) على السكون بوصفه فعل أمر [2] . ويبيح الوقف أيضا عند الترتيل والتحقيق [3] . وأظن أنه يقصد بذلك القراءة بهاتين الكيفيتين للتعليم .

ثم يربط كلامه هذا بما قاله ابن طيفور ؛ حيث يرى أن الوقف في هذه الحالات السابقة هو ما ذكره السجاوندي فيما سماه (المرخص ضرورة) [4] .

ب – لابد من مراعاة الازدواج في المعنى؛ فيصل القارئ ما يقف على نظيرة التام. يقول في ذلك:" ربما يراعى في الوقف الازدواج فيوصل ما يوقف على نظيره مما يوجد التمام عليه وانقطع تعلقه بما بعده لفظا ،

---

(1) وهي قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، انظر النشر في القراءات ٢٧/١ والبدور الزاهرة في القراءات العشر ٢٥٨ وإتحاف فضلاء البشر ٣٨٦/٢

(2) وهي قراءة عاصم ونافع والكسائي ، انظر النشر في القراءات ٢٧/١ والبدور الزاهرة في القراءات العشر ٢٥٨ وءاتحاف فضلاء البشر ٣٨٦/٢

(3) للقرآن الكريم كيفيات مختلفة في قراءته ، منها الترتيل والحدر والتدوير والتحقيق والتجويد ، فالترتيل هو قراءته وفصل حروف كلماته بعضها عن بعض ، والتحقيق هو المبالغة في إظهار الحروف وتوفية نطقها وإتمام القصر والمد والغنة ، والترسل دون مجاوزة الحد .

انظر النشر في القراءات ٢٠٥/١-٢١٣

(4) انظر المرجع نفسه ٢٣٦/١ والإتقان في علوم القرآن ٨٦/١ وص ٧١من هذا الكتاب.

(٥) سورة البقرة ١٣٤/٢، ١٤١ ، والآية كاملة هي : " تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون "

وذلك من أجل ازدواجه نحو :(لها ما كسبت) مع (ولكم ما كسبتم)[1]- .
ونحوه (لها ما كسبت) مع (وعليها ما اكتسبت[2]-) [3] .

ثم ينسب الفضل إلى أهله؛ فيعزو اختيار هذا الوقف في الازدواج إلى نصير بن محمد ومن تبعه من أئمة الوقف [4] .

ولعله هنا يقصد بالازدواج تقارب دلالة الجمل (لها ما كسبت – لكم ما كسبتم – لها ما كسبت – عليها ما اكتسبت) فقد تكرر الفعل (كسب) فى الآية الأولى وتكرر فى الآية الثانية مع زيادة تاء الافتعال ؛ التى أعطت معنى المشقة والتعب ، كما أن الكلمة التى يعود عليها الضمير المؤنث الذى دلت عليه تاء التأنيث فى الفعل هى (الأمة) فى الآية الأولى و(النفس) فى الآية الثانية .

هذا من ناحية الدلالة أما الإعراب فهو متفق حيث إن كل جملتين فى كلتا الآيتين السابقتين اسمية مقدم خبرها وجوبا على المبتدأ ، الذى هو الضمير الموصول (ما) والخبر هو المركب الحرفى؛ مورفيم الجر مع الضمير المجرور محلا .

ويختم ابن الجزرى كلامه عن الوقف بأن هذه الحالات التى صرح فيها بالوقف تصح فيما أريد له " إلا من يقصد بذلك تحريف المعنى عن

---

[1] سورة البقرة ٢-٢٨٦ ولطول الآية نورد الجزء الذى يوضح ما نريد وهو :" لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ."

[2] النشر فى القراءات ١٣٧/١ والإتقان فى علوم القرآن ٨٦/١-٨٧

[3] انظر النشر فى القراءات العشر ٢٣٧/١

[4] انظر النشر فى القراءات العشر ٢٣٧/١ والإتقان فى علوم القرآن ٨٧/١

مواضعه وخلاف المعنىٰ الذى أراد الله تعالى فيه – والعياذ بالله – يحـــرم عليه ذلك ويجب ردعه [1] .

---

[1] النشر في القراءات العشر ١/٢٣٠،٢٣١ والإتقان فى علوم القرآن ١/٨٦

٧- جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) :

لم يرد للسيوطي رأي خاص به في تعريف الوقف أو تقسيمه إلـى أنواع معينة؛ بل كان جل ما فعله هو عرضه آراء متناثرة لأولئـك الـذين بحثوا هذا الموضوع ؛ حيث أورد آراء أبي جعفر النحاس وابن الأنبـاري والزجاجي وأبي عمرو الداني وأبي الحسن العماني وابن طيفور السجاوندي وأبي الخيرين الجزرى، وقد أفاض فيما قاله ابن الجزرى بصفة خاصة . (١)

وذلك لا ينقص من قيمة السيوطي العلمية بل يزيده إجلالا؛ حيـث التزم الأمانة العلمية، فرد كل رأي إلى صاحبه.و تلك ميـزة يمتـاز بهـا السيوطي في كل كتبه، لا في هذا الموضوع فقط .

وبذلك حفظ لنا كثيراً من الآثار العلمية متمثلة في آراء أصـحابها من الضياع، فكتاب السجاوندى مثلا لم يصل إلينا، أمـا آراؤه فقـد نقلهـا السيوطي عنه . ولكن لم يفاضل السيوطي بين هذه الآراء ليرجح بعضـها على بعض بل كان يذكرها فقط دون نقد أو تمحيص .

كما يلاحظ أنه لم يذكر شيئا عن الزركشي – وهو سابق له بقليل– مع التشابه بين كتاب البرهان والإتقان، بل تغافله تماما . يظهر ذلـك فـي نقله فقرات وآراء منه ، دون الإشارة إليه ومن ذلك ما نقلـه عـن أبـي يوسف صاحب أبي حنيفة ورأيه في الوقف في القرآن الكريم . (٢)

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن ١/٩٣ – ٩٠ .

(٢) انظر : البرهان في علوم القرآن ١/٣٥٤ والإتقان ١/٨٧

٨ – الأشموني : [١]

سبق أن عرفنا أن لأحمد بن عبد الكريم الاشموني كتابا في الوقف هو (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا) . وقد استقصى فيه القران الكريم تله ؛ متتبعا مواضع الوقف فيه وتسميتها . ونأخذ من ذلك تقسيمه الوقف إلي خمسة أقسام هي :

١ – تام أو أتم .

٢ – كاف أو أكفي .

٣ – حسن أو أحسن .

٤ – صالح أو أصلح .

٥ – قبيح أو أقبح . [٢]

وهذه الأقسام رأيناها كما هي عند أبي جعفر النحاس . [٣]

غير أن الأشموني فاضل بين هذه الأقسام دون أن يُعَرِّفها . حيث قال : (فالكافي والحسن يتقاربان والتام فوقهما ، والصالح دونهما في الرتبة) . [٤] ثم أجمل ذلك كله فقال : (فأعلاها الأتم ثم الأكفى ثم الأحسن ثم الأصلح ويعبر عنه بالجائز) . [٥] والملاحظ هنا أن الأشموني قد استخدم صيغة التفضيل (أفعل) بجانب صيغة الوصف الأصلية التي تراوحت بين صفة الفاعل (صالح – تام – كاف) ، والصفة المشبهة (حسن– قبيح)

---

[١] وهو غير أبي الحسن علي محمد الأشموني (ت ٩٢٩ هـ) النحوى ، صاحب الشرح المعروف على ألفية ابن مالك .

[٢] منار الهدي ١٠

[٣] انظر صـ ٥٣ من هذا الكتاب

[٤] منار الهدى ١٠

[٥] المرجع نفسه ١٠

ولعل السبب في ذلك هو أن كل قسم من هذه الأقسام يفضل ما بعده كما قال هو : (فأعلاها الأتم ثم الأكفى ثم الأحسن ثم الأصلح) . [١]

أي إن التام أتم من الكافي الذي هو أكفي من الحسن والحسن أحسن من الصالح الذي هو أصلح من القبيح والقبيح قد بلغ الدرجة في عدم حسنه وصلاحيته ولذلك فهو أقبح .

ويغنينا عن تفصيل هذه الأقسام وشرحها ما سبق قوله عند أبي جعفر النحاس وابن الأنباري حيث اعتمد عليهما . [٢]

لكن الذي امتاز به الأشموني هو عرضه لما سماه وقف البيان الذي عرّفه بقوله : " وقف البيان هو أن يبين معنى لا يظهر بدونه كالوقف على قوله تعالى : (وتوقروه) : فرق بين الضميرين فالضمير في (توقروه) للنبي صلى الله عليه وسلم وفي (تسبحوه) لله تعالى . والوقف أظهر هذا المعنى المراد ." [٣]وقد سبقه إلى بيان هذا الوقف في الموضع بعينه أبو الخير بن الجزري ، لكن الأشموني أطلق عليه اسم (وقف البيان) في حين سماه ابن الجزري (وقفا حسنا) . [٤]

المهم أن الآية المستشهد بها هي قوله عز وجل :

(لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا. [٥]

---

[١] المرجع السابق ١٠

[٢] انظر المرجع نفسه ٩

[٣] المرجع نفسه ١٠

[٤] انظر النشر في القراءات ٢٣٣/١

[٥] سورة الفتح ٩/٤٨

حيث إن ضمير المفعولية (الهاء) في الفعلين (تعزروه – توقروه) يعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الضمير نفسه (الهاء) في (تسبحوه) فيعود على الحق سبحانه وتعالى . فإن وصل القارئ كل هذه الجمل فهم أن المعنى واحد؛ أي إعادة مورفيم المفعولية في الجمل الثلاث على مسمى واحد؛ وبخاصة أن هذه الجمل مشتركة من الناحية التركيبية. فالفعل فيها مضارع بمورفيم المضارعة (التاء) ،والفاعل مورفيم (الواو) لجمع المذكر السالم ، والمفعول به مورفيم (الهاء) المذكر المفرد الغائب كما أن الفعل بهذه الصيغة من الأفعال الخمسة المنصوبة بحذف النون .

ولذلك أجاز الأشموني الوقف بعد جملة (توقروه) والبدء بجملة (تسبحوه) للتفريق بين المفعولين من الناحية الدلالية .

ثم يدلي الأشموني بجملة لعلها هي فصل الخطاب في الموضوع كله، هي قوله : " وجميع ما ذكروه من مراتبه غير منضبط ولا منحصر لاختلاف المفسرين والمعربين " . [1]

كما ذهب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة " إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن بالتام والناقص والحسن والقبيح وتسميته بذلك بدعة، ومعتمد الوقف على نحوه مبتدع؛ لأن القرآن معجز وهو كاللفظة الواحدة، فكله قرآن وبعضه قرآن وكله تام حسن وبعضه تام حسن " [2]
ولعل تلك الجملة عند الأشموني وما قاله أبو يوسف يؤكدان أن اصطلاحات الوقف والابتداء لم تؤخذ سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو

---

(1) منار الهدي ٩ والإتقان في علوم القرآن ٨٧/١

(2) البرهان في علوم القرآن ٣٥٤/١

الصحابة رضي الله عنهم ، بل هي اجتهادية من هؤلاء العلمـــاء ، ولـــذلك اختلفوا في الاصطلاح والتقسيم ؛ وكان سبب ذلك هو مراعاة المعنى .

٥

الفصل الخامس

علاقة الوقف بغيره من العلوم

إذا كان القرآن الكريم كلاما عربياً فصيحا قد بلغ أعلـــى مســتوى لغوى عربى ؛ بحيث يقاس عليه كل ما عداه من كلام العرب ، فهو مكــون من فونيمات تنتظم معا لتكون مورفيمات وكلمات ، وهذه بدورها تكون معا مركبات وجملا ؛ ولذلك فإن الوقف عند كلمة معينة لابد أن يكون له هــدف لغوى ؛ يؤدى معنى معينا ، وهذا المعنى لابد أن يتحرى ما ورد فى علــوم القرآن كالتفسير والقراءات والنحو والفقه .

فلا يمكن الوقف جزافا ، بل يعتمد على القراءات القرآنية ، وقواعد اللغة فى نحوها ، وما أثر عن الأولين فى تفسير الآيات المباركة ، أى إنـــه "لا يقوم بالتمام إلا نحوى عالم بالقراءة ، عالم بالتفسير ، عالم بالقصــص وتلخيص بعضها من بعض عالم باللغة التى نزل بها القرآن" (١) .

" كما يحتاج إلى المعرفة بالنحو وتقديراته" (٢) .

وفيما يلى نتكلم عن هذه العلاقة موردين بعض الآيات التــى مــن خلال الوقف على أجزاء منها ؛ تظهر هذه العلاقة ، حيث يختلــف المعنــى تبعا للتفسير أو الفقه أو الإعراب أو القراءات .

---

(١) القطع والائتناف ١/٢١ والبرهان فى علوم القرآن ١/٣٤٣

(٢) القطع والائتناف ١/٢٢

الوقف والقراءات

القراءات هي كيفية قراءة القرآن الكريم بأكثر من وجه حسبما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي قسمان :

القراءة الصحيحة :

وهي ما توافر فيها شروط ثلاثة :

١- صحة سندها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- مطابقتها لخط المصحف .

٣- مطابقتها لقوانين اللغة العربية في نحوها ودلالتها وصرفها وصوتها .

القراءة الشاذة :

وهي ما افتقدت شرطا من الشروط السابقة ، وهي كثيرة جداً ؛ وبعضها ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبعضها عن الصحابة وبعضها عن التابعين .

والقراءات الصحيحة قسمان ؛ مشهورة ومتواترة . والمتواترة سبعة ، أصحابها هم :

١- عبد الله بن عامر (ت ١١٨ هـ) .

٢- عبد الله بن كثير (ت ١٢٠ هـ) .

٣- عاصم بن ابي النجود (ت ١٢٨ هـ) .

٤- أبو عمر بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) .

٥- حمزة الزيات (١٥٦هـ) .

٦- نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩ هـ) .

٧- علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩ هـ)[1] .

وفي النص التالي لابن الجزري نحاول بيان علاقة الوقف بالقراءات؛ حيث يقول :

" ولابد من معرفة أصول مذاهب الأئمة القراء في الوقف والابتداء ؛ ليعتمد في قراءة كل مذهبه . فنافع كان يراعي محاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى ... وابن كثير روينا عنه نصا أنه كان يقول : إذا وقفت في القرآن على قوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وعلى قوله (وما يشعركم) وعلى (إنما يعلمه بشر) لم أبال بعدها وقفت أم لم أقف . وهذا يدل على أنه يقف حيث ينقطع نفسه . و ... كان يراعي الوقف على رؤوس الآي مطلقا ؛ ولا يتعمد في أوساط الآي وقفا سوى هذه الثلاثة المتقدمة .

وأبو عمرو فروينا[2] عنه أنه كان يتعمد الوقف على رؤوس الآي . ويقول هو أحب إلي ، وذكر عنه الخزاعي أنه كان يطلب حسن الابتداء . وذكر عنه أبو الفضل الرازي أنه يراعي حسن الوقف .

وعاصم ذكر عنه أبو الفضل الرازي أنه كان يراعي حسن الابتداء وذكر الخزاعي أن عاصما والكسائي كانا يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام.

وحمزة اتفقت الرواة عنه أنه كان يقف عند انقطاع النفس ؛ فقيل لأن قراءته التحقيق والمد الطويل؛ فلا يبلغ نفس القارئ عنده كالسورة

---

(١) انظر : النشر في القراءات العشر ١/٩ وما بعدها .

والبرهان في علوم القر ٣٢٧ - ٣٢٩ .

(٢) هكذا في الأصل (فروينا) ولا يستقيم الكلام إلا في حالتين هما :

- وأما أبو عمرو فروينا ..

ب- وأبو عمرو روينا ..

الواحدة ، فلم يكن يتعمد وقفا معينا ، ولذلك آثر وصل السورة بالسورة ، فلو كان من أجل التحقيق لآثر القطع على آخر السورة .والباقون من القراء كانوا يراعون حسن الحالتين وقفا وابتداء "(١) .

من هذا النص يتبين لنا أن لكل من القراء مذهبه في الوقف والابتداء، وقد ذكر ابن الجزرى ستة من أصحاب القراءات الصحيحة هم :

" نافع بن أبى نعيم – عبد الله بن كثير – أبو عمرو بن العلاء – عاصم بن أبى النجود – حمزة الزيات – على الكسائى " .

فالإمام نافع كان يراعي الوقف الحسن والابتداء ، ولا ندرى بأى مقياس كان الحسن عنده ؛ بمقياس السجاوندى أو النحاس أو غيرهما ؟ كما لم يمثل ابن الجزرى لهذا الوقف الحسن عنده ولعله كان يستحسن المعنى فيقف ويبتدئ بمعنى حسن آخر ..

وعبد الله بن كثير ألزم نفسه الوقف عند ثلاثة مواضع فى القرآن العظيم كله وهى :

الموضع الأول :

قوله تعالى : " وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا "(٢) .

فهو يلزم الوقف عند لفظ الجلالة (الله) ، وبذلك ينتهى معمول الفعل (يعلم) عند لفظ الجلالة الذى هو فاعله ،وتصير الجملة الثانية اسمية مستأنفة بالواو غير متعلقة بالفعل(يعلم) أو بمعموله . أما إن وصل فتصير الواو عاطفة لا استئنافية ، ويعطف (الراسخون) على لفظ

(١) النشر فى القراءات العشر ١/٢٢٨ .

(٢) سورة آل عمران ٣/٧ .

الجلالة (الله) [١] وهو ما لم يرده ابن كثير ، بل أراد قصر العلم في الفعل (يعلم) على لفظ الجلالة فقط .

الموضع الثاني :

قوله سبحانه : " وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون "[٢] .

حيث يلزم الوقف عند جملة (يشعركم) ؛ ليربطها بما قبلها ، وهو قوله عز اسمه : " قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم " .

وبذلك يرتبط الفعل (يشعر) بوجود الآيات عند الله، ويبدأ بعدها بكسر همزة (إن) ؛ لتصير جملة جديدة غير متعلقة بالفعل (يشعر) .

وبذلك فإن هذا الجزء من الآية ينقسم قسمين هما :

أ – قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم .

ب – إنها إذا جاءت لا يؤمنون .

أما إن استؤنف بـ (وما يشعركم) فسوف تفتح همزة (إن) ؛ لارتباطها بالفعل(يشعر) متعلقا بالجملة بعده ؛أي بتحقق الإيمان من عدمه عند مجئ الآيات وهو ما لم يرده ابن كثير[٣] .

---

(١) انظر : معاني القرآن ١/١٩١ وإملاء ما من به الرحمن ١/١٢٤ .

(٢) سورة الأنعام ٦/١٠٩ .

(٣) انظر معاني القرآن ١/٣٥٠ وإملاء ما من به الرحمن ١/٢٥٧ .

ولعل الوقف عند (وما يشعركم) وكسر همزة (إن) أو وصلها وفتح الهمزة يذكرنا بما دار بين المبرد والخ‍ متوكل بشأن هذه الآية وملخص الحادثة أن الخليفة قرأ قوله خانه : " وما يشعرحم سه إذا جاءت لا يؤمنون " بالفتح فاختلف معه الفتح بن خاقان حيث رآها ب‍الكسر (إنها) وبعثا للمبرد (ت ٢٨٦ هـ) يستفتيانه فدخل المبرد على الفتح بن خاقان وقال له (إنها) بالكسر " ذلك أن أول الآية (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم) " .

الموضع الثالث :

قوله تعالى : " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين "[1] .

فهو يلزم الوقف على جملة ؛ (إنما يعلمه بشر) ويستأنف بقية الآية بالجملة الاسمية (لسان الذى يلحدون إليه أعجمي) .

وذلك لأن جملة (إنما يعلمه بشر) فى محل نصب مقول القول الذى قاله الكفار،على حين أن جملة (لسان الذى ...) رد من الله سبحانه وتعالى عليهم ، وليست من كلامهم بل لتكذيبهم فى زعمهم هذا[2] .

ولو وصلت الجملتان لتوهم أن الأولى مقول القول والثانية تفسيرية تابعة لها من كلام الكفار أيضا وهو ما لا يراد من الآية أى أنه أراد بالوقف هنا الفصل بين ما قاله الكفار ورد الحق تعالى عليهم .

ثم يستنتج ابن الجزرى من ذلك أن ابن كثير كان يقف حيث ينقطع نفسه فى غير هذه المواضع ،وهو ما سماه ابن الجزرى الوقف

- ثم قال تبارك وتعالى يا محمد – صلى الله عليه وسلم : " إنها إذا جاءت لا يؤمنون " باستئناف جواب الكلام المتقدم ، ثم دخل مع الفتح على الخليفة المتوكل فسأله الأخير عن الصواب : أهو الفتح أم الكسر ؟ فقال المبرد له : أكثر الناس يقرؤها بالفتح .

فلما عاتبه الفتح بن خاقان قال له : " قلت له أكثر الناس يقرؤها بالفتح وأكثرهم على الخطأ وإنما تخلصت من اللائمة وهو أمير المؤمنين .

انظر : طبقات النحويين واللغويين ١٠١ ـ ١٠٣ .

(١) سورة النحل ١٠٣/١٦ .

(٢) انظر التفسير الوسيط ٦٨١/٢ وتفسير القرطبي ١٧٧/١٠-١٧٩ .

الاضطراري[1] ، وسماه السجاوندي المرخص ضرورة[2] ، وأنه لم يكن يتعمد الوقف في أوساط الآيات إلا في تلك الآيات الثلاثة المتقدمة .

وأبو عمرو بن العلاء يقف على رؤوس الآيات ويطلب حسن الوقف والابتداء ،أي أنه مشابه في حسن وقفه وابتدائه لنافع بن أبي نعيم .

وعاصم بن أبي النجود يقف حيث يتم الكلام ، ويطلب حسن الابتداء، وكذلك علي بن حمزة الكسائي يقف حيث يتم الكلام .

وحمزة الزيات يقف عند انقطاع النفس ، وهو بذلك يشبه طريقة ابن كثير ، وذلك لاتباع الأول طريقة "التحقيق والترتيل في قراءته فلا يبلغ نفسه الوقف التام ولا الكافي .ويفسر ابن الجزري علة الوقف عند حمزة بأن القرآن الكريم كله مرتبط بعضه ببعض فهو كالسورة الواحدة ؛ ولذلك لم يكن يتعمد حمزة وقفا معينا بل كان يصل السورة بما بعدها .

ثم يجمل ابن الجزري مذاهب القراء في الوقف والابتداء فيقول : "والباقون من القراء يراعون حسن الحالتين وقفا وابتداء "[3] .

أي إنهم يراعون الوقف الحسن والابتداء الحسن وهو ما راعاه نافع وعاصم وأبو عمرو والكسائي .

ولا نعلم لماذا ذكر ابن الجزري ستة فقط من أئمة القراء ، ولم يذكر عبد الله عامر ، مع أن أقل عدد من القراءات الصحيحة المتواترة سبع كما ذكر هو[4] .

---

(١) انظر ص ٩٣ من الكتاب .

(٢) انظر ص ٧١ من هذا الكتاب .

(٣) النشر في القراءات العشر ٢٣٨/١ .

(٤) المرجع نفسه ٨/١ .

إلا أن يكون لكل من هؤلاء الستة مذهب معين فى الوقف والابتداء؛ مع اتفاقهم فى مراعاة حسن الحالتين ومع ذلك فإن هذه المراعـاة تمثـل العامل المشترك بين القراء جميعا .

الوقف والتفسير

يعنى التفسير بكيفية فهم الآيـات القرآنيـة وأسـباب نزولهـا ، ومعانيها وأحكامها ، ومقاصدها التى ترمـى إليهـا ،وذلـك بالروايـة أو الدراية[1] . وهذه المعانى والمقاصد تتعلق بتركيب الجملة ؛ الذى يختلـف حسب الوقف والابتداء. ولنأخذ بعض الأمثلة التى تبين اخـتلاف التفسـير باختلاف الوقف .

ففى قول الله عز وجل :

(قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنه يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين) [2].

فمن وقف على جملة (فإنها محرمـة علـيهم) ، وبـدأ بجملـة (أربعين سنة يتيهون فى الأرض) فهم أن التحريم مطلق، مع تحديد التيـه بأربعين سنة ومن وقف على جملة (فإنها محرمة عليهم أربعـين سـنة)، وبدأ بجملة (يتيهون فى الأرض) حدد مدة التحريم بأربعين سـنة، وأطلـق مدة التيه فى الأرض. وهنا يختلف التفسير طبقا للوقف والابتداء[3] .

ولا ندرى لماذا أجاز أبو زكريا الفراء (ت٢٠٧هـ) كلا الـوقفين ؛ دون مراعاة المعنى المقصود بتحديد زمن التيه ،أو زمن التحريم حيث قال:

---

(١) انظر الإتقان فى علوم القرآن ١٧٣/٢ والبرهان فى علوم القرآن ١٣/١ .

(٢) سورة المائدة ٢٦/٥ .

(٣) انظر تفسير القرطبى ١٢٩/٦ والبرهان فى علوم القرآن ٣٤٥/١ .

" أربعون سنة" منصوبة بالتحريم ، ولو قطعت الكلام فنصبتها بقوله (يتيهون) كان صواباً [1] .

ولعله نظر نظرة لغوية صرفة إلى تركيب الجملة دون معناها .

وفى قوله سبحانه :

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ") [2] .

يقول أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ) . إذا قرأ (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين .... والجروح قصاص) فهذا التمام عنده إذا نصب قراءة نافع وعاصم والأعمش وحمزة[3] .

ومن قرأ (والعين بالعين) فرفعهما ورفع ما بعدهما [4] . فالوقف عنده (أن النفس بالنفس). وهذه قراءة الكسائى واختيار أبى عبيدة [5] .

وبها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] فعلى هذه القراءة (والعين بالعين) ابتداء حكم فى المسلمين ويجعل ما كتب عليهم فى التوراة

---

(١) معانى القرآن ٣٠٥/١ وانظر : إملاء ما من به الرحمن ٢١٣/١ .

(٢) سورة المائدة ٤٥/٥ .

(٣) نافع وعاصم وحمزة من القراء السبعة ، أما الأعمش فهو أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش قرأ عليه حمزة وعيسى بن عمر .

انظر النشر فى القراءات العشر ١٦٥/١ .

(٤) لعل تثنية الضمير في (فرفعهما وما بعدها) تعود على المبتدأ وخبره المركب الحرفي .

(٥) الكسائى نحوى من القراء السبعة ، أما أبو عبيدة فهو معمر بن المثنى التيمى صاحب مجاز القرآن (ت ٢٠٩هـ) انظر " طبقات النحويين واللغويين ١٧٥ - ١٧٨ وأخبار النحويين البغداديين ٨٠- ٨٣ .

(أن النفس ... يوجب الحكم القصاص في العين وما بعدها بين المسلمين بالآية" [٢] .

فمن وقف عند (أن النفس بالنفس) جعل ذلك خاصا ببنى إسرائيل مكتوبا عليهم ثم يبدأ جملة جديدة هى (والعين بالعين) . وتكون خاصة بحكم فرضه الله تعالى على المسلمين دون بنى إسرائيل .

ومن وصل الآية كلها وقرأ بالنصب جعل مورفيم الواو عاطفا مع تكراره وبذلك تتكون جملة واحدة ، ويكون المعنى آنذاك فرض كل ذلك على بنى إسرائيل دون غيرهم .

يقول الفراء فى توجيه ذلك " تنصب (النفس) بوقوع (أن) عليها فى قوله (والعين بالعين والأنف بالأنف) إلى قوله (والجروح قصاص) بالخيار . إن شئت رفعت ، وإن شئت نصبت ... فإذا رفعت العين أتبع الكلام العين ، إن نصبته فجائز[٣] " .

وكما رأيناه فى حديثه عن الآية السابقة نراه هنا أيضا ، رجلا لغويا لا يهمه إلا تركيب الجملة ، دون التوقف عند اختلاف الدلالة الذى يترتب على رفع أو نصب .

وفى قوله سبحانه :

---

(١) وقد أورد الفراء : " عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : (والعين بالعين) رفعا " معانى القرآن ١/ ٣١٠ وتفسير القرطبى ٦/ ١٩٣ وصحيح الترمذى (باب فضائل القرآن) وعارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى ١١/ ٥٢ .

(٢) القطع والائتناف ١/ ٢٣ والبرهان فى علوم القرآن ١/ ٣٤٩ .

(٣) معانى القرآن ١/ ٣٠٩ - ٣١٠ وانظر إملاء ما من به الرحمن ١/ ٢١٦ ، ٢١٧ .

(قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) [1] يقول أبو جعفر النحاس إن أبا عبد الرحمن السلمي " كان يستحب أن يقف (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) ، ثم يبتدئ فيقول : (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) . أراد أن يفرق بين كلام الكفار وجواب الملائكة[2]" معنى ذلك أن الآية الكريمة ليست في محل نصب مقول القول للفعل (قالوا) ، وعليه فهي ليست من كلام الكفار وحدهم ، بل إنهم عندما يرون البعث والحساب يبهتون قائلين " يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ". فتجيبهم الملائكة " هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون فيما أنذروكم به".

فلا بد من الوقف على الجملة الاستفهامية ليظهر المعنى المراد إما أن وصلت الجملتان في الآية كلها ، فإنها تكون مقول القول للكفار ، دون أن يكون هناك جواب للاستفهام.

وفي الآية نفسها يشير ابن الجزري إلى أن الوقف قبيح على الكلمة (هذا) مع وصله بالجملة الاستفهامية قبلها ، حيث يكون التركيب هكذا : (من بعثنا من مرقدنا هذا ؟)

أما تبدء بكلمة (هذا) فيراه ابن الجزري جيدا ، ليربط بين المبتدأ (هذا) والخبر (ما) [3] .

وفي قوله تعالى :

"يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم "[4].

---

(١) سورة يس ٣٦ / ٥٢ .

(٢) القطع والائتناف ١٩/١ وانظر البرهان في علوم القرآن ٣٤٥/١ .

(٣) انظر النشر في القراءات العشر ٢٣٠/١ .

(٤) سورة الممتحنة ١/٦٠ .

يرى ابن الجزرى أن الوقوف على (وإياكم) حسن لتمام الكـــلام ، والابتداء به قبيح لفساد المعنى ، إذ يصـــير تحـــذيرا مـــن الإيمـــان بـــالله تعالى"[1]. لقد فطن ابن الجزرى هنا إلى أن (إياكم) ضمير نصب معطوف على كلمة (الرسول) ، ووقع عليهما الفعل (يخرج) وتصـــير الجملـــة (أن تؤمنوا) تعليلية أى يخرجونكم بسبب إيمانكم[2] . أما إن بدأ بـــ (وإياكم) فإن الجملة تؤدى معنى للتحذير من الإيمان ، ومن ثم يختلف عمل (إيا) من الضمير المعطوف عليه ، إلى ضمير فى محل نصب مفعول به للتحذير.

لذلك نجد أن أبا ذر الحنفى عرف أن " إمامه بيخارى قرأ ووقـــف وابتدأ من قوله تعالى (وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) فعزلـــه ولـــم يـــأمر بإعادة الصلاة[3] .

(١) النشر فى القراءات العشر ٢٣٠/١ .

(٢) انظر : تفسير القرطبى ٥٢/١٨ .

(٣) طبقات المفسرين ١٧٠/١ .

الوقف والفقه

يبحث علم الفقه فى الأحكام الشرعية التى شرعها الله تعالى لعباده المكلفين ، وللفقه مصادر عدة لاستخراج الأحكام ،أعلاها هو القرآن الكريم[1] . ولمعرفة الجائز والواجب والحلال والحرام والمندوب والمكروه ، لابد من معرفة آيات الأحكام فى القرآن الكريم ، ولا تفهم الآيات إلا على ضوء علاقات الكلمات والجمل ، التى تختلف حسب الوقوف والابتداء .

من هنا نجد أنه " يحتاج صاحب علم التمام إلى المعرفة بأشياء من اختلاف الفقهاء فى أحكام القرآن "[2] .

ولنأخذ آية من كتاب الله ، ندلل بها على تأثير علاقة الوقف والابتداء فى اختلاف الحكم الفقهى ، وهى قوله تعالى :

" والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم "[3] .

" اختلف الفقهاء فى حكم الآية وهو شهادة القاذف ، بين قائل بجوازها إذا تاب ، وقائل بعدم قبولها .فمن " قال من الفقهاء : لاتقبل شهادة القاذف وإن تاب كان الوقف عنده : ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا "[4] فهو يجعل الوقف عند الجملة الفعلية المنفية بـ (لا) الناهية ، ثم يبدأ الجملة الاسمية الجديدة ؛ وهى وأولئك ..) .

---

(١) انظر التعريفات ١١٢ .

(٢) القطع والائتناف ٢١/١ .

(٣) سورة النور ٥٠٤/٢٤ .

(٤)القطع والائتناف ٢١/١ وانظر : البرهان فى علوم القرآن ٣٤٣/١ .

وبذلك يكون المستثنى فى الآية التالية لها متعلقا بالجملة الاسـمية (وأولئك ....) .

وعندئذ يطلق لفظ الفاسقين عليهم إلا من تاب منهم وأصلح .

أما " من قال : تجوز شهادته إذا تاب كان الكلام عنـده متصـلا ، والوقف عنده (فإن الله غفور رحيم) "[1] . وبذلك يكون الاسـتثناء مـن جملة (ولاتقبلوا ...) وليس من جملة (وأولئك ..) . ووجه الكـلام هنـا يكون (ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا).

ومع أن الوقف سنة على رؤوس الآيات ، إلا أن من قـال بقبـول شهادة القاذف هنا لا يعتد بذلك ، ويصل الآيتين معا ، ليبنى علـى وصـل كلامه هذا حكمه الفقهى .

يدل على ذلك ما أورده أبو جعفر النحاس : " عـن ابـن عبـاس (ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا) ثم قال : (إلا الذين تابوا) . قـال : فمـن تـاب وأصلح فشهادته فى كتاب الله عز وجل تقبل "[2] .

---

(١)القطع والائتناف ٢١/١ .

(٢) المرجع السابق نفسه ٢١/١ وأورد النحاس فى الموضع نفسه أن من قال بذلك أيضا مالك والشافعى .

الوقف والنحو

لا ندري ما هو سر الخلاف الشديد بين القراء واللغويين ؛ هذا الخلاف الذي جعل القراء يستبيحون لأنفسهم الوقف كيفما شاءوا، وتقسيم الوقف أقساما معينة؛ لكل قسم اسم معين، مع اختلاف هذه الأقسام والمسميات من واحد لآخر .

كل ذلك عن طريق تجزئة الآية الواحدة إلى جمل معينة ، مع تحديد الوقف حسب تعلق الكلمات فى الجملة الواحدة ولا يفهم ذلك إلا بفهم النحو الذى يبحث فى علاقة الكلمات داخل الجملة الواحدة من الناحيتين الوظيفية والإعرابية .

على حين نجد اللغويين مهتمين بذلك أيضا، لكنهم لا يراعون المعنى بل يطوعون الآية لما تحتمله اللغة من وجوه إعرابية ووظيفية. وأظن أن ذلك هو منشأ الخلاف بين الفريقين .

وقد رأينا فيما سبق أن أبا زكريا الفراء يجيز النصب والرفع فى الآية (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين ..)[1] ، دون التفات إلى المعنى الذى يترتب على الرفع أو النصب ، كما أنه يجيز تعلق المركب (أربعين سنة) فى الآية (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض ..)[2] ،يجيز تعلقه بجملة (فإنها محرمة) ،وبجملة (يتيهون) دون مراعاة أيضا للمعنى الذى يترتب عليهما .

لذلك فقد وقف القراء للغويين بالمرصاد كما يتبين من النص التالى:

---

(١) سورة المائدة ٥/٤٥ وانظر ص ١٢٠ من هذا الكتاب .

(٢) سورة المائدة ٥/٢٦ وانظر ص ١٢٥ من هذا الكتاب .

" ليس كل ما يتعسفه بعض المعربين أو يتكلفه بعض القراء أو يتناوله بعض أهل الأهواء مما يقتضى وقفا أو ابتداء ، ينبغى أن يتعمد الوقف عليه، بل ينبغى تحرى المعنى الأتم والوقف الأوجه . وذلك على (وارحمنا أنت) والابتداء (مولانا فانصرنا) على معنى النداء ، ونحو (ثم جاءوك يحلفون) ثم الابتداء (بالله إن الشرك) على معنى القسم ، ونحو (فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح) ونحو (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا) ويبتدأ[1] (عليه أن يطوف بهما وعلينا نصر المؤمنين) بمعنى واجب أو لازم، ونحو الوقف على (وهو الله) والابتداء (فى السموات وفى الأرض) . وأشد قبحا من ذلك الوقف على (فى السموات) والابتداء (فى الأرض يعلم سركم). ونحو الوقف على (ما كان لهم الخيرة) مع وصله بقوله (ويختار) ؛ على أن (ما) موصولة . ومن ذلك قول بعضهم فى (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أن الوقف على (تسمى) أى عينا مسماة معروفة ،والابتداء (سل سبيلا) هذه جملة أمرية أى اسأل طريقا موصلة إليها .

وهذا مع ما فيه من التحريف يبطله إجماع المصاحف على أنه كلمة واحدة . ومن ذلك الوقف على (لا ريب) والابتداء (فيه هدى للمتقين) وهذا يرده قوله تعالى فى سورة السجدة (لا ريب فيه من رب العالمين) .

ومن ذلك تعسف بعضهم إذ وقف على (وما تشاءون إلا أن يشاء) ويبتدئ (الله رب العالمين)، ويبقى (يشاء) بغير فاعل. فإن ذلك وما أشبهه تمحل وتحريف للكلم عن مواضعه يعرف أكثره بالسباق والسياق[2] " .

---

(١) هكذا فى الأصل ولعل الكلمة (يبدأ) أو (يبتدئ) .

(٢) النشر فى القراءات ١/٢٣١ ، ٢٣٢ وانظر الإتقان فى علوم القرآن ١/٨٦ .

ومع طول هذا النص إلا أننا يمكن أن نستخلص منه الآيات التى استشهد بها ابن الجزرى على التكلف والتأويل ومنها :

– قوله تعالى " وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين"[1] فهو يعترف بالوقف على (وارحمنا) ثم يبتدئ (أنت مولانا)، وينكر الوقف على (وارحمنا أنت) ثم يبتدئ (مولانا فانصرنا)؛ والمعنى هنا فى (أنت مولانا) إخبار عن طريق جملة اسمية ، على حين أن المعنى فى (مولانا فانصرنا) إنشاء عن طريق النداء بالجملة الفعلية المحذوف أداة النداء فيها مع تحول الضمير (أنت) من مبتدأ للخبر (مولانا) إلى توكيد لفظى للمفعول به فى الفعل (ارحمنا) .

– قوله تعالى : " ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا"[2] .

– قوله عز وجل " يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)[3].

حيث يرى أن الوقف بعد المركب الحرفى (بالله) وبذلك يتعلق هذا المركب بالفعل (يحلف) فى الآية الأولى ، وبالفعل (تشرك) فى الآية الثانية .

على حين يمنع قبلهما ليتحول الوقف المركب الحرفى إلى معنى للقسم عند اتصاله بما بعده هكذا:

ثم جاءوك يحلفون ... بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا .

يا بنى لا تشرك ... بالله إن الشرك لظلم عظيم .

---

(١) سورة البقرة ٢/٢٨٦ .

(٢) سورة النساء ٤/٦٢ .

(٣) سورة لقمان ٣١/١٣ .

- قوله سبحانه : " وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة"[1] .

فهو يرى الوقف بعد الفعل (يختار) عطفا له على الفعل (يخلق) لتبدأ جملة (كان) المنفية، على حين يمنع الوقف على الفعل (يشاء) ليتصل الفعل (يختار) بجملة (كان) وعندها تتحول (ما) من النفي والحرفية إلى الموصوليه هكذا " :

- وربك يخلق ما يشاء .
- ويختار ما كان لهم الخيرة .

أى يختار الذى هو خير لهم .

- قوله تعالى : " فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين "[2] .

حيث يرى أن الوقف عند جملة (أجرموا) لتبدأ جملة (كان)،ويمنع الوقف عند (حقا) لتبدأ جملة (علينا نصر) هكذا :

- فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا .
- علينا نصر المؤمنين .

والمعنى فى الحالتين واحد وهو الانتقام من المجرمين ونصر المؤمنين .

- قوله عز " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين "[3] .

---

(١) سورة القصص ٦٨/٢٨ .

(٢) سورة الروم ٤٧/٣ .

(٣) سورة البقرة ٢/٢ .

حيث يمنع الوقف على(لا ريب) مستشهدا بقوله سبحانه : " لا ريب فيه من رب العالمين "[1] ، وهو هنا يناقض نفسه إذ إنه رأى وقفا على (لا ريب) . لكنه قيده بعدم الوقف على (فيه) ، وهو ما عرف بالمراقبة[2] .

ومع ذلك فلا غضاضة من الوقف على (لا ريب) أى (لا شك)، ثم تبدأ جملة جديدة خبرها مركب حرفي مقدم وجوبا هى (فيه هدى للمتقين).

أما ما أحسن فيه ابن الجزرى فهو كراهة الوقف على الفعل (تسمى) من قوله تعالى (عينا فيها تسمى سلسبيلا)[3] ، ثم تبدأ كلمة (سلسبيلا) التى تؤول بجملة فعلية هى (سل سبيلا)؛ أى اسأل طريقا. وقد علل كراهة ذلك بأنه تحريف للمعنى يبطله إجماع المصاحف على كتابتها كلمة واحدة .

هذه هى الأوقاف التى منعها ابن الجزرى ورآها تعسفاً وإعراضا للنص،ولا نجد فى منعها نصا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أصحابه من بعده. ناهيك عن أنها لا تحرف المعنى ولا تبدله ولا تغيره . بل يظل السياق القرآنى كما هو، مع احتمال الآيات للمعنيين دون مساس بقدسية القرآن العظيم .بل إنى لأذهب إلى أن هذا الاختلاف من مظاهر الإعجاز فيه .

ولعل ما يعضد هذا الرأى أن ابن الجزرى لم يسند هذه الآراء إلى أحد ، ولو وجد غيره قال بذلك لذكره ، ولو وجد دليلا من السنة أو الإجماع

---

(١) سورة السجدة ٣٢/٢ .

(٢) انظر ص ٨٨ من هذا الكتاب .

(٣) سورة الإنسان ٧٦/١٨ .

لذكره أيضا، بل إنه لم يذكر إلا إجماع المصاحف على كتابة (سلسبيلا) كلمة واحدة وهو ما نوافقه عليه .

على حين جانبه الصواب فى آية أول البقرة (لا ريب) ، ومع ذلك فقد استشهد بأول السجدة (لا ريب فيه من رب العالمين) ولذلك فقد ختم رأيه بقوله (يعرف أكثره بالسباق والسياق) [1] .

---

(١) النشر فى القراءات ١/٢٣٢ .

الوقف وخط المصحف

للغة جوانب متعددة منها جانبان رئيسان هما المكتوب والمنطوق، ومن البدهي أن نطق أية لغة سابق على كتابتها ، بل إن هناك كثيرا من اللهجات واللغات مازالت غير مكتوبة .

وبالنسبة للغة العربية نجد أن أقدم نص مكتوب هو القرآن الكريم وقد كتب ذلك متفرقا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجموعا بدءا من عهد أبي بكر الصديق . أما الشعر الجاهلي فقد ظل ينقل شفاها حتى مرحلة التدوين في العصر العباسي الأول والثاني ، عندما بدأت كتابته.

وهناك تأثير بين الجانبين المنطوق السابق والمكتوب اللاحق في القرآن الكريم ؛ مع تغليب جانب المنطوق إذ إنه هو الأصل حيث نزل . منطوقاً من لسان جبريل إلى أذن النبي صلى الله عليه وسلم .

وإذا كانت هناك مقولة ترى أن هناك خطين لا يقاس عليها هما خط المصحف والخط العروضي، فسوف نحاول دراسة العلاقة بين الخط الأول ونطقه وبخاصة في حالة الوقف . وإذا كان الوقف في اللغة العربية له قانون خاص فهو على المجرور والمرفوع والمنصوب يكون بالسكون إلا المنون المنصوب فهو بفتحه طويلة ، فإننا نجد كثيرا من رؤوس الآيات المتحركة بكسرة ياء المتكلم أو ياء المضاف إليه قد كتبت بدونها ؛ وذلك مراعاة للوقف عليها بالسكون ، ومن ذلك :

- قوله تعالى : " ربنا وتقبل دعاء "(١) وأصلها (دعائى) .
- قوله تعالى : " فبشر عباد "(٢) وأصلها (عبادى) .

---

(١) سورة إبراهيم ١٤/٤٠ .

(٢) سورة الزمر ٣٩/١٧ .

- قوله تعالى : " كل كذب الرسل فحق وعيد "(1) وأصلها (وعيدي) .

- قوله تعالى : " فكيف كان عذابي ونذر "(2) وأصلها (ونذري) .

ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فحذفت هذه الياءات وسط الآيـة لا عند رأسها وذلك مثل :

- قوله سبحانه : " أجيب دعـوة الـداع إذا دعـان "(3) وأصـلها (الداعي . دعاني) كما حذفت لامات الأفعال الناقصة أيضا مثل :

- قوله سبحانه : " ويدع الإنسان بالشر "(4) وأصلها (يدعو) .

- قوله سبحانه : " يوم يدع الداع إلى شئ نكر "(5) وأصلها (يدعو الداعي) (6) .

وهاء السكت أيضا ما هي إلا أثر من الآثار التي تركها المنطوق في المكتوب ، وهذه الهاء تجتلب للوقف عليها ؛ فـي الكلمـات ذات المقطـع القصير المفتوح آخرها ؛ حيث تكره الفصحى هذا المقطع أواخر الكلمات(7)، ولذلك تغلقه بهذه الهاء الساكنة(8) ، ويكثر ذلك في الفعل اللفيف المفـروق حالة الأمر؛ مثل :

---

(1) سورة ق ١٤/٥٠ .

(2) سورة القمر ١٨/٥٤ ، ٢١ ، ٣٠ .

(3) سورة البقرة ١٨٦/٢ .

(4) سورة الإسراء ١١/١٧ .

(5) سورة القمر ٦/٤٥ .

(6) البرهان في علوم القرآن ٣٧٦/١ .

(7) انظر : المدخل إلى علم اللغة ٢٥٧ .

(8) انظر : شرح المفصل ٤٥/٩ ، ٨٥ والإنصاف في مسائل الخلاف ٥٧٢/٢ مسألة رقم ٧٨ .

ع عه من الفعل (وعى)

ص ح ص ح ص

ولما كان الوقف على رؤوس الآيات سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ختمت بعض الآيات ذات الكلمات المختومة بهـذا المقطـع بهاء السكت . ومن ذلك :قوله تعالى :

ها أوم اقرأوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابية [1] .

وذلك وقفا ، ثم كتب في مرحلة لاحقة بالهاء ، ثم أجرى هذا الوقف مجرى الوصل ، فجرى مجراه في أوسط الآيات كقوله سبحانه :

" وانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه "[2] .

و " فبهداهم اقتده "[3] .

مع أن الكلمتين (يتسنه –اقتده) ليستا رأس آية .

وقد فطن إلى ذلك الزركشي حيث قال :

" فالواجب أن يوقف عليها بالهاء لأنه مكتوب في المصحف بالهاء ولا يوصل لأنه يلزم في حكم العربية إسقاط الهاء في الوصل، فإن أثبتهـا خالف العربية، وإن حذفها خالف مراد المصحف ووافق كلام العـرب ، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين ... وقد أتوا به على نية الوقف "[4].

( ) سورة الحاقة ١٦/٦٩ ، ٢٠ وانظر آيات ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) سورة البقرة ٢٥٩/٢ .

(٣) سورة الأنعام ٩٠/٦ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ٣٤٤/١ .

أما الفراء فلم يفطن إلى ذلك، بل جعل الهاء في (يتسنه) " من قوله بعته مسانهة تثبت وصلا ووقفا ، ومن وصله بغير هاء جعله من المسانأة ؛ لأن (سنة) تعتقب عليها الهاء والواو ... وإن قرأتها في الوصل على وجهين تثبت الهاء وتجزمها ، وإن حذفتها "[1] .

ونجد عكس ذلك وهو تأثير الخط في الوقف، أي تأثير المكتوب في المنطوق ، وعندئذ صار " خط المصحف هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام ولا يعدو رسومه ولا يتجاوز مرسومه "[2] . وقد جاء ذلك في مرحلة لاحقة، بدأت فيها المؤلفات في الوقف والابتداء حيث تقيد أصحابها بخط المصحف، فكان لهم هاديا في معرفتهما . وفي ذلك يقول أبو جعفر النحاس – في معرض حديثه عن قوله تعالى " ألم [3] :

قال الأخفش سعيد بن مسعدة ألف تمام ولام تمام ، ومذهب أبي عبيدة أن مجازها مجاز حروف الهجاء ، ومذهب الكسائي أنها حروف التهجي ، فهذا قول وليس عندي بصواب ؛ لأنها في المصحف موصولة فيجوز قطعها ، كما لا يجوز مخالفة ما في المصحف"[4] .

يتضح من هذا النص أن الخط قد اكتسب قدسية معينة لا تجوز مخالفته، ومع ذلك يعمل اللغويون عقولهم في تأويل الوقف عند تحويل هذا المكتوب إلى منطوق فعلي ، فيرى الأخفش الأوسط أنه يمكن الوقف على الألف والوقف على اللام والوقف على الميم ويسانده في ذلك أبو عبيدة

---

(١) معاني القرآن ١/١٧٢، ١٧٣ وانظر إتحاف فضلاء البشر ١/٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/٣٧٦ .

(٣) سورة البقرة ١/٢ آل عمران ١/٣ والعنكبوت ١/٢٩ والروم ١/٣٠ ولقمان ١/٣١ والسجدة ١/٣٢ .

(٤) القطع والائتناف ١/٣٤ .

الذى يرى أنها حروف هجاء أى أسماء فونيمات (ألف – لام – ميم)، على حين يرى الكسائى أنها حروف تهج ،أى فونيمات لكل فونيم استقلاله السمعي والنطقى أى (أ – ل – م) [1] ولذلك يجب الوقف على كل منها عندهم ، ويخالفهم فى ذلك أبو جعفر النحاس فيرى أنها مكتوبة فى المصحف موصولة هكذا " ألم " ولا يجوز قطعها موافقة لهذا المكتوب، ويعضد رأيه القائل بعدم الوقف عند كل فونيم على حدة من هذه الفونيمات المقطعة أوائل بعض السور إلا (حم عسق) [2] بقوله " العلة فى قطعها دون غيرها أن الحواميم سبع[3] فلما تكررت زيد فى إحداهن شئ كان منفصلا " [4] .

إنه يريد أن يعلل قطع (حم) عن (عسق) فيرى أنها زائدة عن بقية السور المبدوءة بالفونيمين (ح – م) بفونيمات أخرى هى (ع – س – ق) ولذلك تميزت عن غيرها بالوقف بينهما . ونحن نرى أن علة الوقف هنا هو فصل (حم) عن (عسق) بالفاصلة القرآنية والوقف على رؤوس الآيات مقاطع كما سبق ، ولذلك يوقف بين الآيتين .

---

(١) اسم الفونيم هو ما يميز فونيما عن آخر ، ويبدأ اسم الفونيم بالفونيم المطلق عليه؛ فمثلا (ل) هى (لام) ، أما التحقق السمعي والنطقى للفونيم فهو نطقه وسمعه ؛ فاللام مثلا هى لام ساكنة مسبوقة بهمزة وصل (ال)، وقد فطن إلى شئ قريب من ذلك الزركشى فى البرهان: انظر ١٧٢/١ وانظر : دراسة صوتية صرفية فى لهجة الواحات الخارجة ٢٨.

(٢) سورة الشورى ٤٢ر ١، ٢ .

(٣) الحواميم هى السور المبدوءة بالفونيمين (ح – م) وهى على التوالى : (غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف) .

(٤) القطع والائتناف ٣٤/١ .

كما نجد تأثير المكتوب على الوقف الذى هو منطوق أيضـا فيمـا أورده الفراء فى معرض حديثه عن قوله تعالى : " فمال هـؤلاء القـوم لا يكادون يفقهون حديثا "[1] فيقول : " (فمال) كثرت فى الكلام حتى توهموا أن اللام متصلة بـ (ما) وأنها حرف فى بعضه، ولاتصال القراءة لا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة "[2] .

وهنا تبدو رؤيتان :

الأولى : كثرة استخدام اللام مع (ما) فى النطق حتى توهم المتكلم والسامع أنهما حرف واحد، أى أداة واحدة فكتبتا معا (مال) ، وهنـا يبـدو تأثير المنطوق فى المكتوب .

الثانية : قراءة الفراء كلمة (هؤلاء) موصولة باللام قبلها؛ فهما مركب حرفى (جار ومجرور) ، ولذلك لا يمكن الفصل بينهما وهـو تـأثير للمنطوق أيضا فى المكتوب .

وقد تنبه بعض اللغويين إلى العلاقة بين الخط والوقـف؛ أى بـين المنطوق والمكتوب للغة القرآن الكريم، فنرى الفراء فى حديثه عن قولـه تعالى (اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم)[3] يقول : " فـإن شـئت جعلـت الألف التى فى (مصرا) ألفا يوقف عليها، فإذا وصلت لم تنون فيها كمـا كتبوا (سلاسلا)[4] و (قوارير)[1] بالألف[2] .

---

(1) سورة النساء ٧٨/٤ .

(٢) معانى القرآن ٢٧٨/١ ولم يتنبه إلى ذلك الزركشى بل علل تعليلات حسب الظـاهر والملكوت انظر البرهان فى علوم القرآن ٤٢٢/١ وانظر إتحاف فضلاء البشر ١٠٥/١ ، ٢٣٧ .

(٣) سورة البقرة ٦١/٢ .

(٤) سورة الإنسان ٤/٧٦ والآية هى " إنا أعتدنا للكافرين سلاسلا و أغلالاً وسعيرا " .

فهو يرى أن كلمات (مصرا – سلاسلا – قواريرا) منونة ويوقف عليها بالفتحة الطويلة (الألف) إذ إن التنوين بالفتحة عند ما يوقف عليه يتحول إلى فتحة طويلة ثم أجرى الوصل مجرى الوقف فنطقت فتحة طويلة فى الحالتين وصلا ووقفا .

ونراه فى موضع آخر لا يعلل حذف ياء (عباد) فى قوله تعـالى " فبشر عباد "[3] فيقول : " فإن هذه بغير يـاء فـلا تنصـب بلؤهـا ، هـى محذوفة"[4] .

وفى كلامه هذا يبنى تعليله فى حذف الياء علـى صـورة الكلمـة المكتوبة (عباد) فى المصحف دون ياء؛ دون فطنة إلى أنهـا رأس آيـة والوقف عليها سنة، فتتحول كسرة الدال الطويلة (الياء) إلى سكون .

وإذا كان الفراء قد تنبه إلى طبيعة هذه العلاقة فى الآية الأولى ولم ينتبه إليها فى الآية الثانية فإن بدر الدين الزركشى لم ينتبه إليها ألبته[5] بل علل فيها لاختلاف منطوق القرآن عن مكتوبه فقال : " واعلم أن الخط جرى على وجوه منها ما زيد عليه فى اللفظ ،ومنها ما نقص ومنها ما كتب على

---

(١) سورة الإنسان ١٥/٧٦، ١٦ والآيتان هما (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكـواب كانت قواريرا قوارير من فضة قدروها تقديرا) .

(٢) معانى القرآن ٤٣/١ .

(٣) سورة الزمر ١٧/٣٩ .

(٤) معانى القرآن ٢٩/١ وانظر أيضا ٢٠٠/١ – ٢٠١ وانظر : إتحاف فضلا البشر ٨٩/١.

(٥) لاحظ أنه قد تنبه إلى هذه العلاقة عند حديثه عن هاء السكت ، انظر ص ١٣٣ مـن هذا الكتاب .

لفظه وذلك لحكم خفيه وأسرار بهية "[1] ثم يفصل هذه الحكم والأسرار فينقل عن أبي العباس المراكشي :[2]

" أن هذه الأحرف إنما اختلفت حالها بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها ،ومنها التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ومراتب الوجود والمقامات "[3] وأكثر ما ذكره في ذلك غير متعلق بموضوعنا اللهم إلا ما استشهدنا به آنفا من حذف الياءات ولامات الأفعال الناقصة[4] . فقد كرر مقولة أبي العباس أن حذف الياء اكتفاء بالكسرة " هو باعتبار ملكوتي باطن "[5] .

وندلل على ذلك بالأمثلة التالية :

عند شرحه لحذف ضمير المفعولية في الفعل (دعاني) ليصير (دعان) [6] يقول : " فحذف الضمير في الخط دلالة على الدعاء الذي من جهة الملكوت بإخلاص الباطن "[7] .

وفي قوله تعالى : " ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد "[8] يقول : " ثبتت الياء في (المقام) لاعتبار المعنى من جهة الملك ،وحذفت من

---

(١) البرهان في علوم القر... ٣٨ .

(٢) هـ أبو عباس أحمد بن محمد بن عثمان الأرزدي المراكشي المعروف بابن البنا(ت ٧٢١هـ)

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/٣٨٠ – ٣٨١ .

(٤) انظر ص١٣١،١٣٢ من هذا الكتاب .

(٥) البرهان في علوم القرآن ١/٣٩٩ .

(٦) سورة البقرة في علوم القرآن ٢/١٨٦ .

(٧) البرهان في علوم القرآن ١/٣٩٩ – ٤٠٠ .

(٨) سورة إبراهيم ١٤/١٤ .

(الوعيد) لاعتباره ملكوتيا فخاف المقام من جهة ما ظهر للأبصار وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار "[1].

وفي قوله سبحانه : " إني أخاف أن يكذبون "[2] يقول " خاف موسى عليه السلام أن يكذبوه فيما جاءهم به، وأن يكون سببه من قبله؛ من جهة إفهامه لهم بالوحي، فإنه كان عالي البيان، ولأنه كليم الرحمن فبلاغته لا تصل إليها أفهامهم فيصير إفصاحه العالي عند فهمهم النازل عقدة عليهم في اللسان يحتاج إلى ترجمان فإن وقع بعده تكذيب فيكون من قبل أنفسهم وبه تتم الحجة عليهم "[3].

ولو فطن الزركشي أو ابن المراكشي لعلاقة الخط بالوقف والابتداء لوجدنا في تعليلهما لهذا الحذف كلاما آخر .

---

(1) البرهان في علوم القرآن ١/٤٠٠ .

(2) سورة الشعراء ٢٦/١٢ .

(3) البرهان في علوم القرآن ١/٤٠١ .

الخاتمة

***

لا يخرج البحث فيما سبق عن بيان وجهة نظر لسانية في آراء العلماء في الوقف والابتداء؛ هذه الآراء التي انبثقت من ولاء للقرآن العظيم في محاولة لفهم التراكيب والجمل القرآنية وعلاقة بعضها ببعض .

وإذا كانت آراء هؤلاء العلماء قد اختلفت فيما بينها اختلافا كثيرا؛ حتى لا نكاد نجد اثنين منهم قد اتفقا في الأقسام أو التعريفات؛ فإن هذا الخلاف راجع إلى عدم وجود نصوص صريحة من السنة النبوية المباركة في ذلك .

بل ما ورد هو الفصل بين آية الرحمة وآية العذاب ،والوقف على رؤوس الآي ، ومع ذلك لم نجد حديثا واحدا في الصحيحين (البخاري ومسلم) يدل على ذلك . من هنا يمكننا الحكم بأن هذه الآراء كلها اجتهادات شخصية ليس فيها طعن في الدين ولا في القرآن الكريم، فلكل منهم وجه نظره الشخصية التي استنبطها ممن سبقه من العلماء أو من خلال ممارسته للقراءات أو من خلال فهمه للنص الكريم .

كما رأينا اختلاف اللغويين والقراء في ذلك الوقف ،وأرجعنا ذلك الخلاف إلى إعمال ... بين القاعدة اللغوية في النص العظيم دون التقيد بالمأثور في ذلك ، ولعل عبارتهم التي رددوها كثيرا دليلا على ذلك هي قولهم (إن شئت جعلتها ... وإن شئت جعلتها) أو (ولك الوجهان فيها).

وبينا أن علما واحد لا يعيش بمفرده ولا يبحث وحده، بل لابد من الاستعانة بعلوم أخرى؛ فللوقف والابتداء علاقة بالنحو والفقه والتفسير والقراءات والخط أو رسم المصحف؛ حيث يؤثر الخط في الوقف ويؤثر

[illegible] و[illegible]نا أن تأثير الوقف في [illegible] [illegible]ق من تأثير الأخيـــر في [illegible] .

ولعل كثرة المؤلفات في ذلك العلم حيث زادت على الستين مؤلفا – تدل على اهتمام السلف به ، على حين أن قلة ما حقق يدل على عدم اهتمام العلماء المحدثين به. يدل على ذلك أيضا قلة الدراسات التي قامـــت ببحـــث هذا الموضوع ؛ حيث ظل ينحصر إلى أن جاء في شكل علامـــات معينـــة أو اصطلاحات توضع فوق خط المصحف مثل : " قـــلى – صلـــى – لا – م – قف – ج " .

المراجع العربية

١ – إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ أحمد البنـا، ت : د. شعبان إسماعيل – القاهرة ١٩٨٧م .

٢ – الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى – بيروت ١٩٧٣م .

٣ –أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض لأبى سعيد السيرافى ت : د . محمد إبراهيم البنا – القاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

٤ – الأساليب الإنشائية فى النحو العربى – عبد السلام هارون– القاهرة ١٩٧٩م .

٥ – اصطلاحات الصوفية – عبد الرازق الكاشانى – ت : د . عبد الخالق محمود – دار المعارف القاهرة ط ٢ ١٩٨٤م .

٦ – الأصمعى اللغوى – د. عبد الحميد الشلقانى – القاهرة ط ١٩٨٢م .

٧ – الأصوات اللغوية – د. إبراهيم أنيس – القاهرة ط ٦ ١٩٨١م .

٨ – إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى – القاهرة ط ١٩٨٧م .

٩ – إملاء ما من به الرحمن من وجه الإعراب والقراءات فى جميع القرآن لأبى البقاء العكبرى – بيروت ط١ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

١٠ – إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطى – ت : محمد أبو الفضل إبراهيم – القاهرة ١٩٩٥م.

١١ – الإنصاف فى مسائل الخلاف – لابن الأنبارى ت : محمد محيى الدين عبد الحميد – القاهر[illegible] ١٩٦٦م .

١٢ – الإيضاح فى علل النحو للزجاجى – ت : د . مازن المبارك – بيروت ط٤ – ١٩٨٢م .

١٣ – بحوث ومقالات فى اللغة – د. رمضان عبد التواب – ط ١ القاهرة ١٩٨٢م .

١٤- البدور الزاهرة فى القراءات العشر المواترة – عبد الفتاح القاضى – القاهرة ١٩٥٥م.

١٥- البرهان فى علوم القرآن لبدر الدين الزركشى – ت : أبو الفضل إبراهيم –القاهرة ٥٧م.

١٦- بناء الجملة فى لهجة الواحات الخارجة- د . أحمد عارف حجازى رسالة دكتوراه مخطوطة بآداب عين شمس ١٩٨٨م .

١٧- تاريخ التراث العربى – كارل بروكمان ت : د . عبد الحليم النجار – القاهرة – د . ت .

١٨- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك – ت : محمد كامل بركات – القاهرة ١٩٦٧م .

١٩- التعريفات للجرجانى – استنبول ط ١٢٧ هـ .

٢٠- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) لإسماعيل بن كثير الدمشقى- ط – القاهرة ١٩٨٠م .

٢١- تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى قرآن) لابن جرير الطبرى ت : محمد شاكر – القاهرة ط٢ ١٩٧١م .

٢٢- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) – للإمام القرطبى- القاهرة د. ت .

٢٣- تفسير النيسابورى (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) للنيسابورى على هامش تفسير الطبرى- ، بيروت ط ٢ ١٩٧٢م .

٢٤- التفسير الوسيط – مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر- القاهرة – فى أجزاء متتابعة منذ ١٩٨٠م .

٢٥- تهذيب التوضيح – لأحمد مصطفى المراغى ومحمد سالم على – ط ١٣ القاهرة د . ت.

٢٦- الجامع الصغير فى النحو لابن هشام المصرى - ت :د. أحمد الهرميل - القاهرة ١٩٨٠م .

٢٧- الجمل فى النحو : لأبى القاسم الزجاجى - ت : د . علــى توفيــق - بيروت ط٢ ١٩٨٥م.

٢٨- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل - للشيخ محمــد الخضــرى - القاهرة د . ت .

٢٩- الخصائص لابن جنى - ت : محمد على النجار - بيروت ط ٢ د .ت.

٣٠- دراسة صوتية صرفية فى لهجة الواحات الخارجة - د . أحمد عارف حجازى - رسالة ماجستير مخطوطة بآداب عين شمس ١٩٨٦م .

٣١- دلائل الإعجاز فى علم المعانى لعبد القاهر الجرجــانى- ت : الإمــام محمد عبده وآخرين - القاهرة ط٦ ١٩٦٠م .

٣٢- دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس ط٤ ١٩٨٠ م .

٣٣- دور الكلمة فى اللغة - استفين أو لمــان - ت : د . كمــال بشــر - القاهرة ط٢ ١٩٦٩م.

٣٤- سنن أبى داود - لأبى داود السجستانى - ت : محيــى الــدين عبــد الحميد - بيروت د . ت .

٣٥- سنن الترمذى (الجامع الصحيح) لأبى عيسى الترمذى- ت : عبــد الوهاب عبد اللطيف بيروت ط٢ ١٩٨٣م .

٣٦- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العمــاد الحنبلــى -القــاهرة ١٩٧٩م .

٣٧- شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ومعه الشواهد للعينى - القاهرة د .ت .

٣٨- شرح السيوطى على ألفية ابن مالك لجلال الدين السيوطى - القاهرة د . ت .

٣٩- شرح اللمع لابن برهان العكبرى -ت : د . فائز فارس - الكويت ط١ ١٩٨٤م .

٤٠- شرح المفصل لابن يعيش - القاهرة د . ت .

٤١- طبقات ابن سعد (الطبقات الكبرى) - القاهرة ١٩٦٨م .

٤٢- طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطى- ت : علـــى محمـــد عمـــر - القاهرة ١٩٧٣م .

٤٣- طبقات المفسرين لشمس الدين الداودى - ت : علـــى محمـــد عمـــر -القاهرة ١٩٧٢م .

٤٤- طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيـــدى - ت : أبـــو الفضـــل إبراهيم - القاهرة ط٢ د .ت .

٤٥- العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد - هنرى فليش - ت : د . عبد الصبور شاهين - بيروت ١٩٦٦م .

٤٦- علم الدلالة العربى - د . فايز الداية - القاهرة د . ت .

٤٧- علم اللغة العلم - دى سوسير - ت : يوئيل يوسف عزيز - بغداد - د.ت .

٤٨- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام المصرى - ت : محيى الدين عبد الحميد - بيروت ١٩٨٤م .

٤٩- القطع والائتناف لأبى جعفر النحاس ت : للخطاب آل عمر - رســالة ماجستير مخطوطة بآداب القاهرة ١٩٧٣م .

٥٠- الكافية فى النحو لابن الحاجب ، شرح رضى الـــدين الاســـترابادى - بيروت ط٣ ١٩٨٢م.

٥١- الكتاب لسيبويه - ت : عبد السلام هارون ط٢ - القاهرة ١٩٧٧م .

٥٢- لسان العرب لابن منظور المصرى - طبعة مصورة عن طبعة بولاق - القاهرة د. ت .

٥٣- اللسان والإنسان - د . حسن ظاظا - الإسكندرية ١٩٧١م .

٥٤- اللغة - جوزيف فندريس - ت : الدواخلي والقصاص - القاهرة ١٩٥٠م .

٥٥- اللغة بين العقل والمغامرة - د . مصطفى مندور- الإسكندرية د . ت

٥٦- محاضرات في الوقف - محمد أبو زهرة - ط٢ ١٩٧١م .

٥٧- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى- د . رمضان عبد التواب - ط١ - القاهرة ١٩٨٢م .

٥٨- المزهر فى علوم اللغة لجلال الدين السيوطى - ت : محمد جاد المولى وآخرين -القاهرة د . ت .

٥٩- المصاحف لأبى بكر السجستاني - القاهرة ط ١٩٨٦م .

٦٠- معانى القرآن لأبى زكريا الفراء - ت : يوسف شجاعى ومحمد النجار - القاهرة ١٩٨٠م .

٦١- معجم الأدباء لياقوت الحموى- القاهرة ط٣ ١٩٨٠م .

٦٢- معجم مصطلحات النحو الصرف والعروض - د . محمد إبراهيم عبادة - ت : القاهرة د . ت .

٦٣- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام المصرى- ت : محيى الدين عبد الحميد - القاهرة د . ت .

٦٤- المقصد لتلخيص ما فى المرشد لأبى يحيى الأنصارى - على هامش كتاب (منار الهدى) - القاهرة ط٢ ١٩٧٣م .

٦٥- منار الهدى فى بيان الوقـف والابتـدا للأشـمونى - القـاهرة ط٢ ١٩٧٣م .

٦٦- مناهج البحث فى اللغة - د . تمام حسان -القاهرة ١٩٥٥م .

٦٧- المنصف شرح التصريف لابن جنى- ت : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - القاهرة ط١ ١٩٥٤م .

٦٨- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى - ت : على محمد الضباع- بيروت د . ت .

٦٩- همع الهوامع شرح جمع الجوامـع للسـيوطى - ت : بـدر الـدين النعسانى - بيروت د . ت .

٧٠- الوافى بالوفيات للصفدى - القاهرة د . ت .

المراجع الأجنبية

N. Chomsky; Aspects of the Theory of Syntax U.S.A ١٩٧٦.

N. Chomsky; Cartesian lingustics; Longman; New yourk; ١٩٦٩.

N. Chomsky; Language and Mind; U.S.A ١٩٧٢.

R. Fowler; An Introduction to Transfor mational Syntax; London ١٩٧٧.

R. Wordhaugh; Introduction to Linguistics; U.S.A ١٩٧٧.

الفهرست